مكتبة
Telegram Network

توفه يانسون

مآثرُ بابا مومين كَما وصفُها بنفسِه

دار المنى

مآثِرُ بابا مومين كمَا وصفَها بنفسِهِ

توفه يانسون

[«مكتبة ♔ النخبة»]

دار المنى

Translation is supported by FILI

FILI FINNISH LITERATURE EXCHANGE

ISBN: 978 91 88863 76 8
Arabic edition © Bokförlaget Dar Al Muna AB, 2019
© Tove Jansson, (1950), Moomin Characters™
Arabic text © Bokförlaget Dar Al Muna
First published in Swedish under the title:
Muminpappans Bravader Skrivna av Honom Själv
All rights for Arabic language are reserved
Typesetting: Joachim Trapp

Bokförlaget Dar Al-Muna AB
Box 127, 18205 Djursholm, Sweden
www.daralmuna.com

تمهيد

أَنَا، بابا مومين، أجلسُ اللَّيلةَ قربَ نافذَتِي، وأتأمَّلُ حديقَتِي، حيثُ اليراعاتُ تطرِّزُ شعاراتِهَا الغامضةَ على الظَّلامِ المُخمليِّ. ازدهارُ حياةٍ قصيرةٍ سريعةِ الزَّوالِ ولكن سعيدة!

بصفَتِي أبُ عائلةٍ وربُّ بيتٍ أنظرُ الآنَ بأسًى إلى شبابِي العاصفِ الَّذي لنْ ألبثَ أنْ أصفَهُ. وأشعرَ برعشةِ تردُّدٍ في كفِّي وأنَا أوازنُ قلمَ مذكَّراتِي.

في الوقتِ نفسِه أستمدُّ القوَّةَ من بعضِ كلماتِ الحكمَةِ الَّتي صادفْتُها في مذكَّراتٍ شخصيَّةٍ أخرَى مميَّزةٍ: «أيُّ مخلوقٍ، مهمَا تباينَتْ دروبُه في الحياةِ، سبقَ لَه أنْ أنجزَ شيئًا جيِّدًا في هذا العالمِ، أو يعتقدُ أنَّهُ فعلَ ذلِكَ. يجبُ، إذا كانَ صالحًا ومن عشَّاقِ الحقيقةِ، أن يكتبَ عن حياتِه، شرطَ ألَّا يبدأَ قبلَ الأربعينَ من عمرِه!»

أعتقدُ أنَّني نوعًا ما طيِّبُ القلبِ، وأهوى الحقيقةَ عندمَا لا تكونُ مملَّةً كثيرًا. وسأبلغُ العمرَ المناسبَ في التَّاسعِ من شهرِ آب.

نعم، أرى حقًّا أنَّنِي يجبُ أنْ أستسلمَ إلى إلحاحِ ابنِي مومين ترول، وإلى لذَّةِ الحديثِ عنِ النَّفسِ، وإلى طباعَةِ مذكَّراتِي لتُقرأَ في وادِي المومين كلِّه! عسَى أنْ تجلبَ ملاحظاتِي البسيطةُ البهجةَ والتَّوجيهَ لجميعِ أفرادِ المومين، وخصوصًا ابني الغَالِي، حتَّى على الرَّغمِ من أنَّ ذاكرَتِي ليست كسابقِ عهدها.

وأنتم؛ أيُّها الأطفالُ الصِّغارُ الحمقَى الَّذينَ تظنُّون أنَّ آباءَكم أشخاصٌ وقورونَ وجدِّيُّونَ، عندَما تطالعونَ هذه الرِّوايةَ عن مغامراتِ ثلاثةِ آباءٍ عليكُم أن تأخذُوا بعينِ الاعتبارِ أنَّ الآباءَ متشابهونَ (في شبابِهم على الأقلِّ).

أتخيَّلُ أنَّ العديدَ من قُرَّائِي سيتفكَّرونَ مليًّا وهم يرفعونَ أنوفَهم عن صفحَاتِ هذا الكتابِ مَا بينَ حينٍ وآخرَ ويهتفونَ: «يا لهُ من مومين!» أو «هذهِ هيَ الحياةُ حقًّا!»

أخيرًا وليسَ آخرًا أريدُ أنْ أعربَ عن شكرِي العميقِ لأكثرِ الأشخاص الذين ساهموا في تشكيلِ حياتِي إلى القطعَةِ الفنيَّةِ الَّتي أصبحَتْ عليهَا: هودجكينز والهاتيفاتنر، وزوجَتِي ماما مومين الاستثنائيَّة والفريدَة من نوعِها.

وادي المومين في آب

1

وفيهِ أحكي عن طفولَتِي الّتي أُسيءَ فهمُها، وعن ليلَةِ هروبِي الرَّهيبةِ، وبنائِي لِأوَّلِ بيتِ مومين، وكذلِكَ عنْ لقائِي التّاريخيِّ بهودجكينز.

في مساءِ خريفٍ باردٍ وعاصفٍ قبلَ سنواتٍ وسنواتٍ، وُجِدَتْ كومةُ صحفٍ عندَ عتبةِ دارِ لُقطاءِ المومين.

في تلكَ الكومةِ كنْتُ أستلقِي، صغيرًا جدًّا وأرتعشُ منَ البردِ، ولا أملُكُ أدْنَى فكرةٍ عن مكانِ أمِّي وأبي. (في بعضِ الأحيانِ فكَّرْتُ كم سيكونُ الوضعُ أكثرَ رومانسيَّةً لو أنَّ أمِّي وضعَتْني بدلًا من ذلِكَ على الحشيشِ الأخضَرِ، في سلَّةِ قشٍّ صغيرَةٍ. لكن لا ريبَ في أنَّها لم تمتلِكْ أي سلّة.)

أطلقَتِ الهيميولنة الّتي بنَتْ دارَ اللُّقطاءِ شخيرَها المألوفَ، ووسمَتْ ذيلي بختمٍ مُرقَّمٍ لتفرِّقَ بينِي وبينَ بقيَّةِ أطفالِ المومين. كان هناك الكثيرُ منَّا، ولم نلبَثْ أن أصبحْنَا كلُّنا أطفالًا رزينينَ ومرتَّبينَ؛ لأنَّ الهيميولنة تميَّزَتْ بشخصيَّةٍ حازمةٍ، ودرجَتْ على تنظيفِنَا أكثرَ من تقبيلِنَا.

في الوقتِ نفسِه، كانَتْ لديها نقطةُ ضعفٍ واحدةٌ صغيرةٌ؛ فقدِ اهتمَّتْ بعلمِ التَّنجيمِ، وكلَّما وجدت طفلَ مومين عندَ عتبتِهَا، رصدَتْ مواقعَ النُّجومِ. وبدَا أنَّ رصدَ تلك المواقِعِ بالنِّسبةِ إليهَا الأكثرُ أهميَّةً من أيِّ شيءٍ آخرَ!

تخيَّلُوا فقط - لو أنَّني جئْتُ إلى العالَمِ بعدَ نصفِ ساعةٍ، لراودَنِي شعورٌ ملحٌّ بضرورةِ الانضمَامِ إلى فرقَةِ الهيميولن النُّحاسيَّةِ الطَّوعيَّةِ، وقبلَ تاريخ ولادتي بيوم، لا يولَدُ إلَّا المقامرونَ. (ينبغِي أنْ يأخذَ الآباءُ والأمَّهاتُ ذلك بعينِ الاعتبارِ.)

لكنْ عندمَا رصَدتِ الهيميولنة مواقعَ نجومِي اكتفَتْ بهزِّ رأسِها وهتفَتْ: «لن يكونَ هذا المومين بسيطًا، إنَّه ذو موهبةٍ مفرطَةٍ.»

أرى أنَّها كانَتْ محقَّةً (ما عدَا أنَّني لطالَما شعرْتُ بالسَّكينةِ معَ نفسِي).

لنْ أنسَى أبدًا الملجأَ الَّذي عشْنَا فيهِ؛ إنَّه لا يشبهُ في شيءٍ بيوتَ المومين، ليسَتْ فيهِ زوايا وأركانُ مدهشَةٌ، ولا أيُّ غرفٍ سرِّيَّةٍ أو أيُّ سلالمَ أو شرفاتٍ أو أبراجٍ. كانَتْ دارُ اللُّقطاءِ مربَّعةً وموحشَةً، وتقومُ في مرجٍ منعزلٍ.

أتذكَّرُ الضَّبابَ، ونداءَاتِ الطُّيورِ اللَّيليَّةَ، والأشجارَ الوحيدةَ في الأفقِ - والممرَّاتَ المظلمةَ المحفوفَةَ بصفوفٍ وصفوفٍ منَ الأبوابِ المؤديةُ إلى غرفٍ مربَّعةٍ، وذاتِ لونٍ يشبهُ لونَ الجِعةِ البُنيَّةِ. أتذكَّرُ أنْ لَا أحد كان يُسمَحُ لهُ أنْ يأكلَ شطائرَ الدّبِسِ في السَّريرِ، أو يحتفظَ بحيواناتِهِ الأليفةِ تحتَه، كمَا لا يسمحُ له بالتُّهوضُ ليلًا للتنزُّهِ والدَّردشةِ. أتذكَّرُ رائحةَ حساءِ الشُّوفانِ المجروشِ القابضَةَ للصدرِ. وتخيَّلُوا فقط كيفَ أنَّ عليكم أنْ ترفعُوا ذيولَكُم وفقَ زاويةٍ معيَّنةٍ عندمَا تقولُون

«صباحُ الخيرِ» للهيميولنة!

«هل نظَّفْتَ أذنيكَ؟» كانَتْ تستفسرُ. «بأيِّ شيءٍ تفكِّرُ؟» تسألُ. «كُنْ عاقلًا رجاءً!» تقولُ.

وأنا ما كنْتُ عاقِلًا. في البدايةِ كنْتُ حزينًا فحسبُ.

درجتُ على الوقوفِ أمامَ المرآةِ، والنَّظرِ بعمقٍ في عينَيَّ الحزينتَينِ، مطِلقًا التَّنهُّداتِ مثلَ: «آه أيُّها القدرُ القاسِي!» «أوه يا حظِّيَ العاثرَ!» «لا مزيد بعدَ اليومِ!» وبعدَ بضعِ دقائِقَ أشعرُ بشيءٍ منَ التَّحسُّنِ.

ثمَّ جاءَ الرَّبيعُ...

جاءَ دفعةً واحدةً. شقَّ النَّباتُ والكرنب طريقَهُ من باطنِ الأرضِ مبهورًا، مجعَّدًا مثل آذانِ أطفالِ مومين حديثي الولادَةِ. ورياحُ بِكرٍ انبرَتْ تغنِّي في اللَّيلِ، وعجَّ العالمُ بمختلَفِ أنواعِ النَّقيقِ والطَّنينِ والدَّمدمةِ. كلُّ شيءٍ كانَ جديدًا مرَّةً أخرَى.

في أحدِ الأيَّامِ سمعْتُ صوتَ رعدٍ وئيدٍ ومنتظَمٍ من بعيد. كانَ البحرُ يُريقُ ثلوجَه، والأمواجُ راحَتْ تتكسَّرُ على اليابسَةِ. بيدَ أنَّهُ ما كانَ مسموحًا لنا قطُّ أنْ نذهَبَ إلى الشَّاطئِ.

مضيْتُ أتجوَّلُ في الأنحاءِ وحدِي وأنَا أفكِّرُ.

فكَّرْتُ في كلِّ شيءٍ ذكرْتُهُ لكم هنَا؛ في مواقِعِ النُّجومِ، وجماعةِ الهيميولن، والغرَفِ المربَّعةِ، وأختامِ الذُّيولِ، والأمواجِ. وأتوقَّعُ أنْ تخمِّنُوا أنَّني قرَّرْتُ الهروبَ، إذْ لم يكُنْ هناكَ أيُّ خيارٍ آخرَ أمامِي.

فرارِي كانَ سهلًا، سهلًا جدًّا تقريبًا.

وجبَ عليَّ أنْ أنتظرَ إلى أنْ ينامَ الجميعُ، ثمَّ... بهدوءٍ فتحْتُ نافذَتِي، وأحكمْتُ ربطَ حبلِ غسيلِ الهيميولنةِ بحافتها. وبهدوءٍ مطلقٍ انزلقْتُ نزولًا نحو الأرضِ الرَّطبةِ، وجثمْتُ أستمعُ. كانَتِ الأمواجُ هناك كالسَّابقِ، وكذلِكَ مختلفُ أنواعِ الأصواتِ اللَّيليَّةِ. ولمْ أسمعْ من ذِي قبل صوتًا بمثل هذا الوضوح الذي سمعْتُ.

قبلَ ذهابِي تركْتُ رسالةً على العتبَةِ نفسِها، حيثُ عُثرَ عليَّ مرَّةً ملفوفًا بصحيفَةٍ، وفيهَا:

«عزيزَتِي الهيميولنَة؛

أشعرُ أنَّ أحداثًا عظيمةً تنتظرُنِي. الحياةُ قصيرةٌ، والعالمُ هائلُ الاتِّساعِ. قدْ أعودُ يومًا وأنا متجمِّلٌ بأكاليلِ الغارِ. وداعًا، وأطيبُ التَّمنِّياتِ لكِ من مومين مختلفٍ عنِ الآخرينَ.

ملاحظة: أخذْتُ معي وعاءً منَ القرْعِ المهروسِ.»

ما زلْتُ أعتقدُ أنَّها كانَتْ رسالةً جيِّدةً، مصاغةً بكلماتٍ قويَّةٍ وعميقَةٍ. أتوقَّعُ أنَّ ضميرَ الهيميولنة وخزَهَا كثيرًا. وهكذَا حثثْتُ الخُطَى، إلى قلبِ اللَّيلِ مباشرةً، وحيدًا، وخائفًا قليلًا... قليلًا فقط كمَا أظنُّ.

❃ ❃ ❃

عندَ هذه النُّقطةِ من مذكَّراتِه، تأثَّر بابا مومين أيمَا تأثُّرٍ من حكايةِ طفولتِهِ المحزنَةِ، وشعرَ أنَّهُ يحتاجُ إلى استراحةٍ. وضعَ غطاءَ رأسَ قلمِ المذكَّراتِ ويمَّمَ النَّافذةَ. كان كلُّ شيءٍ ساكنًا في وادِي المومين.

همسَتْ نسمَةٌ خفيفةٌ لأشجارِ الحورِ الفضيَّةِ، وداعبَتْ برفقٍ ذهابًا وإيابًا سُلَّمَ مومين ترول المصنوعِ منَ الحبالِ. «أنا متأكِّدٌ من أنَّني ما زلْتُ قادرًا على الهروبِ إذا احتجْتُ إلى ذلك،» فكَّرَ بابا مومين. «من يبالي إذَا لمْ أعدْ صغيرَ

السِّنِّ كمَا كنْتُ!» ضحكَ بينَه وبينَ نفسِهِ. ثمَّ أنزلَ ساقيهِ المُصابتَين بشيءٍ من الرُّوماتيزم من حافَّةِ النَّافذةِ، وتمطَّطَ ليصلَ إلى سلَّمِ الحبالِ.

تأرجحَ السلَّمُ هنا وهناك، ووجدَ بابا مومين صعوبةً كبيرةً في المحافظةِ على توازنِهِ.

«تبًّا لهذَا الشَّيءِ،» همهمَ بابا مومين وقدْ بدأَ يشعرُ بالدُّوارِ.

«هللو بابا،» قالَ مومين ترول منَ النَّافذةِ المجاورةِ. «ماذا يدورُ في خلدِكَ؟»

«تمارينُ، يا ولدِي،» أجابَ بابا مومين. «أحافظُ على لياقَتِي البدنيَّةِ! خطوةٌ نزولًا وخطوتان إلى الأعلى، واحدةٌ نزولًا واثنتان صعودًا، هذا جيِّدٌ للعضلاتِ.»

«يُستحسن أنْ تأخذَ حذرَكَ،» قالَ مومين ترول. «ما أخبارُ مذكَّراتِكَ؟»

«جيِّدةٌ جدًّا،» أجابَ بابا مومين، واعتلَى عتبةَ النَّافذةِ بساقَيهِ المرتعشتَين. «هربْتُ الآنَ، والهيميولنة تبكِي حزنًا. أظنُّ أنَّ المذكَّراتِ ستكونُ مؤثِّرةً كثيرًا.»

«متى تقرأُها لنَا؟ «

«قريبًا. حالمَا أتأكَّدُ من أنَّها ستصبحُ أكثرَ الكتبِ رواجًا. أحضِرْ سنيف وسنفكين بعدَ يومِ الغدِ لتسمعُوا الفصلَ الأوَّلَ. لا شيءَ ألطفُ من أنْ يقرأَ المرءُ كتابَهُ الخاصَّ بصوتٍ عالٍ.»

«أفترضُ أنَّ هذا صحيحٌ،» علَّقَ مومين ترول وهو يخنقُ تثاؤبَهُ. «طيِّب، تصبحُ على خيرٍ بابا!»

«تصبحُ على خيرٍ يا مومين ترول،» ردَّ بابا مومين، وهو ينزعُ غطاءَ قلمِ المذكَّراتِ.

❃ ❃ ❃

حسنًا إلى أينَ وصلْتُ... أوه نعم، لقدْ هربْتُ، ثمَّ في الصَّباحِ، لا – ذلك بعدَ بعضِ الوقتِ.

تجوَّلْتُ طوالَ اللَّيلِ فِي تلك البلادِ الغريبَةِ والكئيبَةِ. لمْ أجرُؤْ على التَّوقُّفِ ولو لفترةٍ لأرتاحَ؛ بل حتَّى لمْ أجرؤْ على التلفُّتِ والنَّظرِ من حولِي. إذْ لربَّما لمحْتُ شيئًا في الظَّلامِ! حاولْتُ أحيانًا أنْ أصفِّرَ، لأبيِّنَ لنفسِي أنَّ الوضعَ ليسَ في غايةِ السُّوءِ. بيدَ أنَّ صوتِي تهدّج كثيرًا إلى درجةِ أنَّهُ سبَّبَ لِي المزيدَ منَ الخوفِ. لكن بالنِّسبةِ إلى العودةِ - لا، أبدًا ليس في هذَا العالمِ! ليسَ بعدَ رسالةِ الوداعِ الفخمَةِ تلك.

وأخيرًا وصلَ اللَّيلُ الضَّبابيُّ إلى نهايتِهِ. عندمَا أشرَقتِ الشَّمسُ حدثَ شيءٌ جميلٌ جدًّا؛ بواكيرُ باقاتِ أشعَّةِ الشَّمسِ حوَّلَتِ الضَّبابَ بلَا سابقِ إنذارٍ إلى حُمرةٍ ورديَّةٍ مثلَ غطاءِ قلنسوةِ الهيميولنة في يومِ الأحدِ. في لحظةٍ أصبحَتِ الدُّنيا بأسرِهَا زاهيةً وودودةً!

وقفْتُ وراقبْتُ اللَّيلَ يُذيبُ نفسَهُ بأوشحةٍ وهَّاجةٍ رقيقَةٍ. أنسجةُ العناكبِ وأوراقُ الأشجارِ كانَتْ مُثقلةً بحبَّاتِ النَّدى كأنَّها ياقوتٌ برَّاقٌ. تشقلبَ قلبِي بسعادةٍ خالصةٍ. ياه! نزعْتُ الختمَ البغيضَ من ذيلِي وقذفْتُه بعيدًا بينَ الخلنج.

وهناك وآنذاك رقصْتُ رقصةَ المومين احتفاءً بفجرِ الحريَّةِ في الصَّباحِ الرَّبيعيِّ النَّديِّ والمتألِّقِ، وأذنَاي اللَّطيفتانِ الصَّغيرتانِ مطويَّتانِ، وخطمِي مرفوعٌ تُجاهَ السَّماءِ.

لا اغتسال بعدَ اليومِ بأمرٍ منَ الآخرين! لا مزيد من تناولِ الطَّعامِ لمجرَّدِ أنَّ وقتَ العشاءِ قد حانَ! لا تقديمَ أيِّ تحيَّةٍ لأيِّ أحدٍ ما عدَا الملكِ (وأنَا، في حالِ كنْتُم تجهلونَ من أنصار المَلَكية المخلصين)، ولا مزيدٌ منَ النَّومِ في غرفٍ مربَّعةٍ بُنيَّةٍ كلونِ الجِعةِ! إنَّهُ انتصارٌ!

أوَّلًا أكلْتُ هريسةَ القرعِ، وتخلَّصْتُ منَ الإناءِ. والآن ما عادَ لديَّ شيءٌ أدعُوهُ مُلكًا لِي. ما كنْتُ أعرفُ شيئًا، إلَّا أنَّنِي آمنْتُ بنفسِي كثيرًا. ما فعلْتُ شيئًا بحكمِ العادةِ، وكنْتُ في غايةِ السَّعادةِ.

ومشيْتُ، مشيْتُ ومشيْتُ أتتبَّعُ الدَّربَ الملتويَ والمتعرِّجَ، ومنْ جديدٍ عادَ المساءُ، ثمَّ خيَّمَ اللَّيلُ ثانيةً مصحوبًا برياحٍ وعاصفةٍ.

كانَ اللَّيلُ فاحمَ السَّوادِ؛ سمعْتُ حفيفًا وطقطقَةً من حولِي، وفوقَ رأسِي حفَّتْ أجنحةٌ عظيمةٌ ورفرفَتْ. أصبحَتِ الأرضُ غيرَ مستويةٍ وليِّنةً، وتهْتُ عنِ الدَّربِ. انتشرَتْ في الهواءِ رائحةٌ غريبةٌ ومُحبَّبةٌ، وعبقَ أنفِي بالتَّوقُّعاتِ. آنذاك لمْ أعرفْ أنَّهَا عبيرُ حشيشِ الغابَةِ، والسَّرخسِ والأوراقِ المضمَّخةِ بالنَّدى. شعرْتُ بإنهاكٍ شديدٍ عندمَا تقوقَعْتُ وحاولْتُ تدفئةَ كفيَّ الباردَتينِ ببطنِي. وفوقَ رأسِي عزفَتْ أوركسترا العاصفةِ، ولحظةَ داعبني النّومِ فكَّرْتُ: «غدًا!»

عندمَا استيقظْتُ بقيْتُ مستلقيًا أتأمَّلُ العالمَ الأخضرَ والذَّهبيَّ والأبيضَ. الأشجارُ المحيطةُ بي كانتْ أعمدةً فارعةً ومتينةً، وسقوفُها الخضراءُ تصلُ إلى ارتفاعٍ مُسبِّبٍ للدوارِ. أوراقُها تذبذبَتْ برفقٍ ولمعَتْ في ربوعِ ضوءِ الصَّباحِ، وطيورٌ

كثيرةٌ حلَّقَتْ مسرعةً عبرَ شعاعِ الشَّمسِ، دائخَةً من البهجَةِ. وباقاتُ وستائرُ زهرِ العسَلِ تدلَّتْ في كلِّ مكانٍ؛ ذهبيَّةٌ وخضراءُ وبيضاءُ! وقفْتُ على رأسِي

للحظةٍ كي أهدِّئَ نفسِي.

ثمَّ صحْتُ:

«مرحبًا! لمن يعودُ هذَا المكانُ؟»

«لا تزعجْنَا! نحنُ مستغرقون في اللَّهوِ!» نهَرتْنِي الطُّيورُ.

تعمَّقْتُ في الغابةِ. وفي ظلِّ نباتات سرخسٍ عملاقةٍ رأيْتُ حشودًا من المخلوقاتِ الصَّغيرةِ، تقفزُ وتطيرُ في الأنحاءِ. إلَّا أنَّها كانتْ أصغرَ منْ أنْ تستوعِبَ محادثةً جدِّيَّةً.

أخيرًا اجتمعْتُ بأنثَى قنفذٍ كانَتْ عاكفةً علَى تلميعِ قشرةِ جوزِ هندٍ كبيرةٍ.

«صباحُ الخيرِ سيِّدتِي،» بادرْتُها بالتَّحيَّةِ. «أنا لاجئٌ وحيدٌ وُلدَ أثناءَ ظهورِ كواكبَ مميَّزةٍ نوعًا ما.»

«أحقًّا،» ردَّتْ أنثى القنفذِ، ولكن ليسَ بحماسةٍ كبيرةٍ. «هذهِ قشرةٌ جميلةٌ أليسَ كذلِكَ؟ سأجعلُ منها وعاءَ حليبٍ.»

«جميلةٌ جدًّا،» قلْتُ. «لِمَن هذا المكانُ؟»

«لماذَا؟ إنَّهُ ليسَ لأحدٍ! أو للجميعِ كمَا أفترضُ،» أجابَتْ.

بدَتْ متفاجِئةً.

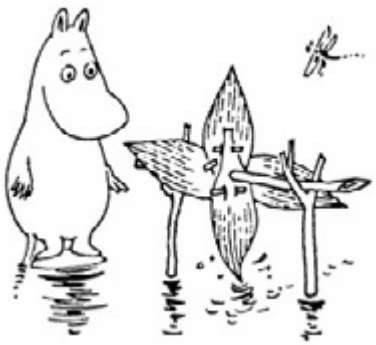

«لِي أيضًا؟» سألْتُها.

«بلا أدْنَى شكٍّ،» قالَتْ، وتابعَتْ تلميعَ قشرتِهَا.

«أأنْتِ واثقةٌ منْ أنَّه لا يعودُ إلى هيميولن مَا أو هيميولنة؟» استفهمْتُ بشيءٍ من القلَقِ.

«هيميولنة؟ وما تلْكَ؟» انبرَتْ تسألُنِي.

«الهيميولنة يبلغُ طولُها تقريبًا ضعفَ طولِ السَّرخسِ العاديِّ،» شرحْتُ لهَا. «خطمُهَا بارزٌ وهيَ نوعًا ما ميَّالةٌ إلى الكآبَةِ، العينان ورديَّتان، وليسَتْ لها أذنان، بدلًا عن ذلك لديهَا خصلتانِ من الوبرِ بلونِ الزَّنجبيل أو شعرٌ أزرقُ. الهيميولنة ليسَتْ نجيبةً كثيرًا، وبسهولةٍ يمكنُ أنْ تصبحَ مخلوقةً متعصِّبةً. القدمانِ كبيرتانِ جدًّا ومسطحتانِ. الهيميولنة لا تعرفُ كيفَ تصفِّرُ، ولذلِكَ تكرهُ الصَّفيرَ. هيَ...»

«أوه، يا إلَهي،» هتفَتْ أنثَى القنفذِ، وتراجعَتْ نحوَ الأشجارِ.

«حسنًا،» قلْتُ لنفسِي. «ليسَ لديهم أيُّ هيميولن هنا على ما يبدو لِي. هذا مكانٌ ليسَ لأحدٍ وللجميعِ؛ لِي أيضًا، فماذَا يمكنُ أنْ أفعلَ؟»

راودتني فكرةٌ في الحالِ، كمَا هي عادَتِي؛ أسمعُ في رأسِي تكةً خفيفةً ثمَّ تنبعُ الفكرةُ. ما دمتُ قد خُلقْتُ مومين ولديَّ مكانٌ، إذًا لا بدَّ من أنْ يتبعَ هذا وجودُ بيتٍ. وبالتَّالِي سأبنِي بيتًا لي بيديَّ، بيتًا ملكِي وحدِي على وجهِ الحصرِ!

بنيتُه قربَ الغديرِ، حيثُ العشبُ أخضرُ وطريٌّ ومناسبٌ تمامًا لحديقةِ مومين. ومن حولِهِ تقومُ أجماتٌ كثيفةٌ مزهرةٌ، وأغصانُهَا متدلِّيةٌ في الماءِ.

ظهرَ بيتُ المومين الأوَّلُ بسرعةٍ عجيبةٍ. لا بدَّ من أنَّ هذا يعودُ إلى قدرةٍ موروثةٍ، وأيضًا إلى الموهبةِ والبصيرةِ والحواسِ الصَّائبةِ. لكنْ يجبُ ألَّا ينغمسَ المرءُ في إطراءِ الذَّاتِ، لذَا سأوردُ هنَا صورةً وصفيَّةً بسيطةً عنِ النَّتيجةِ.

كان بيتًا صغيرًا لكنَّه طويلٌ ومستدقٌّ كمَا ينبغِي أنْ يكونَ بيت أيِّ مومين، مزيَّنًا بعدَّةِ شرفَاتٍ وسلالمَ وأبراجٍ. أعارتنِي أنثَى القنفذِ منشارَ زخرفَةٍ لأزيِّنَ أسوارَ الشُّرفاتِ على شكلِ أكوازِ الصَّنوبرِ. وبالنِّسبةِ إلى مدخلِ البيتِ اضطررْتُ إلى الاستغناءِ عنِ الأبوابِ النُّحاسيَّةِ طبعًا، لكن حتَّى مِنْ دونِها بدَا بيتِي شبيهًا بموقدٍ خزفيٍّ منَ النَّوعِ القديمِ الأصيلِ. (كمَا تعلمونَ، نحنُ المومين نحاولُ دائمًا المحافظةَ على أنماط بيوتنا القديمة، عندمَا درجْنَا على العيشِ وراءَ المواقدِ الخزفيَّةِ، هذَا بالتأكيد قبلَ اختراعِ التَّدفئةِ المركزيَّةِ.) وعندمَا فرغْتُ من عمليةِ البناءِ عدْتُ إلى الطَّابقِ الأرضيِّ وأنَا أشعرُ برضًا عظيمٍ. كانَ ذلكَ أشبهُ بوداعٍ أخيرٍ للهيميولنة.

بعدَ مرورِ فترةٍ اكتشفْتُ أنَّني أشعرُ ببعضِ السَّأم بطريقةٍ جدُّ غريبةٍ. أدهشَني هذا بل حتَّى جعلَنِي أغضبُ منْ نفسِي. إلَّا أنَّهُ كانَ هناكَ، أعنِي السَّأمُ. وصدِّقونِي إذَا قلْتُ إنَّ أسوأَ أنواعِ السَّأمِ هوَ السَّأمُ الَّذي يعتريكَ عندمَا يكونُ عليكَ أنْ تتنعَّمَ بما لديكَ.

ذهبْتُ وزرْتُ أنثَى القنفذِ.

«حسنًا؟» قالَتْ. «عليكَ ألَّا تقولَ كلمةً واحدةً عنِ الهيميولنة فحسبُ.»

«لَا، لَا،» أجبْتُ. «لكنْ هلَّا أتيتِ وتفرَّجْتِ علَى بيتِي؟» يمكنُ أنْ نجلسَ هناك فترةً وندردشَ. سأحدِّثُكِ عن ولادَتِي العجيبةِ.»

«سيكونُ ذلكَ رائعًا،» قالَتْ. «لكنْ معذرةً إذْ لا وقتَ لديَّ، فَأنَا أصنعُ أوعيةَ حليبٍ لبناتِي كلِّهنَّ.»

وهذَا ما حدثَ معَ مخلوقاتِ الغابَةِ كلِّها؛ الطُّيورُ والدِّيدانُ وأرواحُ الأشجارِ والفأراتُ ربَّاتُ البيوتِ، الجميع بدا في عجلةٍ كبيرةٍ من أمرِه بخصوصِ مهمَّةٍ أو أخرَى. لا أحد رغبَ في التَّفرُّجِ علَى بيتِي، أوِ السَّماعِ عنْ مغامرةِ هروبِي، أو عنْ طريقةِ قدومِي المدهشَةِ إلى هذهِ الدُّنيا.

عدْتُ إلى حديقَتِي الخضراءِ قربَ الغديرِ، وجلسْتُ في الشُّرفةِ؛ شرفتِي أنا، شرفَتي المزخرفَة المُوحشَة.

وفجأةً - تك تك – راودَتْنِي فكرةٌ جديدةٌ: اكتشَافُ المكانِ الَّذي يقودُ إليهِ الغديرُ. نزلْتُ إلى الماءِ الباردِ، وبدأْتُ أخوضُ طريقِي معَ الغديرِ. طبعًا جرَى الغديرُ كمَا يجرِي أيُّ غديرٍ؛ نزواتٌ عديدةٌ ولا استعجالٌ. أحيانًا تموَّجَ قدمًا،

صافيًا وضحلًا فوقَ كثيرٍ منَ الحصَى، وأحيانًا تعكَّرَ الماءُ وارتفعَ إلى أنفِي. رأيتُ زنابقَ ماءٍ زرقاءَ وحمراءَ تطفُو في مختلفِ الأماكنِ في الجدولِ. كانَتِ الشَّمسُ في تلكَ الأثناءِ تميلُ نحو الغروبِ، وأشعَّتُها تستقرُّ على وجهِي مباشرةً. وبعدَ وقتٍ بدأْتُ أشعرُ أنِّي سعيدٌ ثانيةً تقريبًا.

ثمَّ سمعْتُ صوتَ أزيزٍ مضحكٍ. وأمامِي مباشرةً أبصرْتُ عجلةً مائيَّةً رائعةً تدورُ. تبيَّنَ لِي أنَّهَا مصنوعةٌ من عيدانٍ صغيرةٍ وسعفِ شجرةِ نخيلٍ صلبٍ.

وشخصٌ مَا قالَ: «رجاءً خُذ حذرَكَ.»

رفعْتُ رأسِي، ورأيْتُ أذنينِ يكسوهُما الشَّعرُ ظاهرَتينِ من بينِ الحشيشِ قرب الغديرِ.

«أنا أنظرُ فقط،» قلْتُ. «مَن أنتَ؟»

«هودجكينز،» أجابَ صاحبُ الأذنين. «وأنتَ؟»

«مومين،» قلْتُ. «لاجئٌ وحيدٌ وُلدَ تحتَ مواقعَ نجومٍ مميَّزةٍ نوعًا ما.»

«أيُّ نجومٍ؟» سألَني هودجكينز وسؤالُهُ أسعدَنِي كثيرًا، فتلْكَ هي المرَّةُ الأولى الَّتي يسألُني فيهَا مخلوقٌ عن شيءٍ أردْتُ أن أجيبَ عنهُ.

وهكذَا صعدْتُ إلى الضِّفَّةِ وجلسْتُ إلى جانبِهِ، وهناكَ رويْتُ لهُ كلَّ ما جرَى معِي منذُ اليومِ الَّذي عُثرَ فيهِ عليَّ ملفوفًا بورقِ صحيفَةٍ. (فقط أخبرْتُه أنَّها كانَتْ سلَّةً صغيرةً من أوراقِ الأشجارِ.) وطوالَ الوقتِ ما انفكَّ الدُّولابُ يدورُ

وسطَ غيمةٍ صغيرةٍ منْ قطراتِ الماءِ البرَّاقةِ، والشَّمسُ احمرَّتْ وغرقَتْ، وقلبِي عثرَ علَى سلامٍ وسعادةٍ جديدَين.

«عجيبٌ،» قالَ هودجكينز عندما انتهيْتُ. «غريبٌ نوعًا مَا. تلك الهيميولنة، أقربُ إلى الأوغادِ كمَا يبدو لِي.»

«صحيحٌ،» قلْتُ.

«مَن همْ أسوأُ منهَا ليسُوا كثيرينَ، أليسَ كذلِكَ؟» قالَ هودجكينز.

«بالتَّأكيدِ لَا،» أجبْتُ.

ثمَّ لبثْنَا صامتِين فترةً، وتأمَّلْنَا الغروبَ.

هودجكينز هو منْ علَّمنِي كيفَ أصنعُ عجلةَ ماءٍ. فنٌّ علَّمْتُه لاحقًا لولدِي. (اقطعْ فرعينِ متشعِّبينِ، واغرزْهُما جيِّدًا في الجدولِ؛ القاعُ الرَّمليُّ هو الأفضلُ، ثمَّ انتقِ أربعةَ سعوفِ نخيلٍ متينَةٍ، وصالبْهَا لتشكِّلَ نجمةً، اثقبْهَا بعودٍ، مكِّنْهَا بالأغصانِ، ثمَّ بعنايةٍ ضعِ العودَ على الفرعَينِ المُتشعِّبينِ، وستدورُ العجلةُ.)

في الغسقِ المسائيِّ مشيْتُ أنَا وهودجكينز تُجاه بيتِي، ودعوْتُه إلى الدُّخولِ.

قالَ إنَّهُ بيتٌ جيِّدٌ. (بذلِك عنَى أنَّهُ بيتٌ رائعٌ ومدهشٌ. هودجكينز ما اهتمَّ مطلقًا بالكلماتِ الكبيرةِ.) ثمَّ هبَّتْ رياحُ اللَّيلِ، وأنشدَتْ لنَا أغنيةً.

في تلكَ اللَّحظةِ وجدْتُ أوَّلَ صديقٍ لِي، ومنذُ ذاكَ بدأْتُ مسيرةَ حياتِي حقًّا.

2

التَّعريفُ بمدلر وجوكستر، وعرضُ تقريرٍ مفعمٍ بالحيويَّةِ عن بناءِ مركبٍ صالحٍ للسكنِ، وإطلاقِهِ الفريدِ في الماءِ.

عندما استيقظْتُ في الصَّباحِ التَّالي، رأيْتُ أنَّ هودجكينز قدْ ألقَى شبكةَ صيدٍ في الغديرِ.

«مرحبًا، «قلْتُ. «هل من سمكٍ هُنا؟»

«بالكادِ،» أجابَ. «مع ذلِكَ يُحتملُ أنْ نصطادَ شيئًا آخرَ. أتريدُ أنْ تأتيَ وتقابلَ الفوضويَّ مدلر؟»

أغلقْنَا باب بيتي وذهبْنَا.

أخبرَنِي هودجكينز أنَّ مدلر الفوضويَّ يعيشُ في مكانٍ قريبٍ. هو صغيرُ الحجمِ جدًّا ومشوَّشٌ، بيتُه عبارةٌ عن صفيحةِ قهوةٍ أمريكيَّةٍ؛ منَ النَّوعِ

الأزرقِ.

«أهوَ من أقربائِكَ؟» سألْتُ.

«ابنُ أخِي،» ردَّ هودجكينز. «تبنَّيتُهُ. اختفَى أبوه وأمُّه أثناءَ تنظيفاتِ الرَّبيعِ.»

«يا للفظاعةِ،» قلْتُ «ألمْ يعثرْ عليهما أحدٌ قطُّ؟»

«أبدًا،» أجابَ هودجكينز.

أخرجَ صفَّارةً من خشب الصَّندلِ في جوفها حبَّةُ بازلَّاء، وصفَّرَ مرَّتين.

أقبلَ مدلر يجري بسرعةٍ فائقةٍ، محاولًا أنْ يسابقَ ذيلَهُ، وقد نصبَ أذنَيهِ، ورفْرفَ شاربَيهِ في الوقتِ نفسِهِ.

«مساءُ الخيرِ!» صاحَ. «ياه، هذَا فخمٌ! منْ معك؟ يا إلَهي! إنَّهُ لشرفٌ لِي! معذرةً رجاءً، الأشياءُ نوعًا ما مقلوبةٌ رأسًا على عقبٍ في صفيحَتِي، لكنْ إذَا...»

«لا يهمُّ،» هدَّأهُ هودجكينز. «خرجْنَا للتنزُّهِ فحسبُ. أتودُّ مرافقَتنا؟»

«أوه، أكيدٌ!» صاحَ مدلر. «دقيقةً فقط رجاءً، عليَّ أنْ أحضرَ بعضَ الأشياءِ معي...»

ثمَّ اختفَى في صفيحَتِهِ، حيثُ سمعنَاهُ ينغمسُ في بحثٍ هائلٍ. بعدَ قليل خرجَ ثانيةً، وهو يتأبَّطُ صندوقًا خشبيًّا، وهكذَا سرْنَا قدمًا خلالَ الغابَةِ.

«يا بنَ أخِي العزيزَ،» قالَ هودجكينز فجأةً. «أتعرفُ كيف تستعملُ الدّهانَ؟»

«أعرفُ كيف أستعملُ الدّهانَ!» هتفَ مدلر. «طبعًا، لقدْ لوَّنْتُ صورَ أبناءِ عمِّي كلِّهم! صورةً منفردةً لكلِّ واحدٍ منهم! معذرة، لكن أتريدُ دهانًا فاخرًا خاصًّا؟»

«سترَى. هذا ما زالَ سرًّا،» أجابَ هودجكينز.

تحمَّسَ مدلر كثيرًا من جوابِ هودجكينز، وبدأَ يقفزُ هنا وهناك على أصابعِ قدميهِ، فانقطعَ الخيطُ المربوطُ حولَ صندوقِهِ، وتبعثرَتْ خارجَه كومةٌ من حاجيَّاتِه الشَّخصيَّةِ، مثل زنبركاتٍ معدنيَّةٍ، دبابيسَ ورق، أقراطٍ، علبٍ، ضفادعَ مجفَّفةٍ، سكاكينَ تقطيعِ جبنةٍ، أزرارِ بنطلوناتٍ، ومنظِّفاتِ غليونٍ، هذا طبعًا من بينِ أشياءَ أخرَى.

«إيه، إيه،» همْهَم هودجكينز وساعدَهُ في جمعِ الأغراضِ ثانيةً.

«كان عندي مرَّةً خيطٌ جيِّدٌ من الطِّرازِ الأوَّلِ، بيدَ أنَّني فقدْتُه في مكانٍ مَا! معذرةً!» قالَ مدلر الفوضويُّ.

أخرجَ هودجكينز حبلًا قويًّا طويلًا، وربطَهُ حولَ الصَّندوقِ، وهكذا تابعْنَا المشيَ.

أخيرًا، تريَّثَ قربَ أجماتِ تينٍ ضخمةٍ وقالَ:

«ادخلَا رجاءً.»

شقَقْنَا طريقَنَا من بينِ الأشجارِ الخضراءِ، توقَّفْنَا، رفعْنَا رؤوسَنَا، وهتفْنَا بصوتٍ فيهِ إجلالٌ: «سفينةٌ!»

بدَتْ ضخمةً وعميقةً ومتينةً، وجؤجؤُهَا المسنَّنُ مختفٍ عنِ الأنظارِ في مكانٍ مَا بينَ ظلالِ الأجماتِ.

«مركبِي الصَّالحُ للسَّكنِ،» قالَ هودجكينز.

«مركبُكَ ماذَا؟» سألْتُه.

«مركبِي الصَّالحُ للسكنِ،» كرَّرَ هودجكينز. «ما يعني وجود بيتٍ علَى متنِ المركَبِ، أو مركبٍ مبنيٍّ تحْتَ بيتٍ، ويعيشُ المرءُ على مثْنِهِ. لطيفٌ وعمليٌّ.»

«وأينَ البيتُ؟» استفسرْتُ.

استخدمَ هودجكينز يدَه مشيرًا بهَا إلى تلميحٍ ذي مغزًى، «بيتُكَ الَّذي عندَ الغديرِ،» قال.

«هودجكينز،» هتفْتُ وأنا أشعرُ بفرصةٍ متحفِّزةٍ تعتملُ في صدرِي، «عندمَا نضمُّ مواهبَنا معًا ستكون بلا حدود.»

في هذهِ الأثناءِ استعادَ مدلر أنفاسَهُ، واستطاعَ أنْ يصيحَ: «يا إلهي، أهذَا صحيحٌ حقًّا؟ أوه! أيمكنُ أنْ أطليَ تلكَ السَّفينةَ؟ أتعِدُنِي بذلِكَ؟»

«أعِدُكَ بذلِكَ، نعم، اخترِ اللَّونَ الَّذي تريدُ،» ردَّ هودجكينز. «وانتبِهْ إلى العلامَةِ المائيَّةِ. اسمُ السَّفينةِ هوَ أوركسترا المحيط. هذَا عنوانُ كتابِ أشعارِ أخِي المفقودِ. عليكَ أنْ تخطِّطَ الاسمَ باللَّونِ الأزرقِ البحريِّ.»

أوقاتٌ مَجيدةٌ! أعمالٌ خالدةٌ! بزهوٍ بالغٍ عُدْنَا إلى بيتِي، وبدأْنَا ننقلَهُ إلى ترسانةِ السَّفينةِ. «أحكِمْ قبضتَك الآن،» أشارَ هودجكينز. «افعلْ هذَا بِرويَّةٍ...

ارفعْ قليلًا من ذلِكَ الجانبِ! إنَّهُ يتحرَّكُ الآن...»

«توخَّ الحذرَ مع الشُّرفةِ، رجاءً!» صحْتُ.

«معذرةً! نزلَ القبو على أصابعِ قدمِي!» هسهسَ مدلر. وبينما قالَ هذَا، مالَ البيتُ، ومن إِحدى النّوافذِ العليا خرَّ شخصٌ وهو يتخبَّطُ.

نظرْنَا إليهِ.

شقيق هودجكينز المفقود

«مرحبًا!» واجهْتُهُ بصوتٍ متوعِّدٍ.

«مرحبًا لكَ،» ردَّ جوكستر (لأنَّ ذاكَ كانَ هو).

«لماذَا دخلْتَ بيتِي؟» أردفْتُ.

أخرجَ جوكستر غليونَهُ من فمِهِ، ووضَّحَ لِي بلطفٍ: «لأنَّكَ أوصدْتَ البابَ.»

«طبعًا، هذا هو بأصلِه وفصلِه!» صاحَ مدلر. «يحبُّ فِعلَ كلِّ مَا هو ممنوعٌ عليهِ. وهو دائمًا في عراكٍ معَ الشُّرطةِ والقوانينِ وإشاراتِ المرورِ.»

«وحرَّاسِ المتنزهاتِ،» أكملَ جوكستر، «أتناولَ أيٌّ منكم الفطورَ أم بعد؟»

«لَا، العكسُ تمامًا،» قالَ هودجكينز. «يا بنَ أخِي! تلك الحلوى. أبقيَ منْهَا شيءٌ؟»

«أكيد،» هتفَ مدلر. «رأيتُها أمس... طبعًا، بيتِي صغيرٌ ومتواضعٌ - معَ ذلِكَ - إذَا أسرعْتُ الآنَ ورتبْتُه قليلًا...»

تأبَّطَ مدلر صندوقَهُ بإحكامٍ وانطلقَ.

«ليسندَ أحدٌ الشُّرفةَ،» قالَ هودجكينز. «أعتقدُ أنَّنا سنتدبَّرُ أمرَنَا. سنأخذُ البيتَ السَّفينةَ إلى السَّفينةِ البيتِ ثمَّ نتناولُ الفطورَ.»

«ألن يساعدَنَا جوكستر؟» استفهمْتُ (إذ كنْتُ ما زلْتُ غاضبًا قليلًا من تصرُّفِهِ).

«وُلِدَ كسولًا،» أعلنَ هودجكينز. «يجبُ أنْ يُحرمَ من مدِّ يدِ المساعدةِ. في هذهِ الحالةِ يمكنُ أنْ يساعدَنا.»

وبعدَ ذلكَ لم يعملْ محرِّكُ السَّفينةِ الاحتياطيُّ. والدَّوَّاساتُ رفضَتْ أنْ تستجيبَ للبراغِي، وذهنِي لم يتفتَّقْ عن شيءٍ يتعاملُ بنجاحٍ معَ المشكلةِ.

(تواضُعِي يرغمُنِي على الإقرارِ بأنَّ هناكَ ثلاثةَ مجالاتٍ تبدُو معها عبقريَّتِي ضيِّقةُ الأفقِ بعض الشَّيءِ، وأعنِي بهَا الهندسةَ والرِّياضيَّات وفنَّ الطَّبخِ.)

أعدَّ لنا مدلر الفوضويُّ عجَّةَ بيضٍ، لأنَّهُ فقدَ الحلوى في مكانٍ مَا.

«لا بأس بهذا؟» سألَ بقلقٍ، وهو ينظرُ إلى هودجكينز.

كانَ هودجكينز يمضغُ بحذرٍ، وثمَّةَ تعبيرٌ غريبٌ على وجهِهِ. أخيرًا قال: «ما هذِهِ العقَدُ الصَّلبةُ في حشوةِ العجَّةِ؟»

«عقدٌ صلبةٌ!» صاحَ مدلر. «لا بدَّ من أنَّها أشياءُ من مجموعتِي. ابصقْهَا رجاءً!»

تخلَّصَ منهَا هودجكينز في صحْنِه. كانت سوداءَ ومائلةَ الأطرافِ وخشنةً.

«أوه، سامحْنِي رجاءً!» صاحَ مدلر. «هذه تروسِي المُسنَّنة. لحسنِ الحظِّ أنَّكَ لم تبتلعْهَا!»

لم يقلْ هودجكينز شيئًا. قطَّبَ جبينَهُ وعبسَ، وجلسَ ينظرُ إلى صحنِهِ.

عندئذٍ بدأَ مدلر الفوضوي يبكِي.

فانبرَى جوكستر يقولُ: «هودجكينز، عليكَ أنْ تسامحَ مدلر. ألَا ترى أنَّه آسفٌ جدًّا؟»

«أسامحُه؟» قالَ هودجكينز. «لقدِ استحقَّ ابنُ أخِي وسامًا.» ثمَّ أخرجَ قلمَ رصاصٍ وبعضَ الورقِ وأرانَا كيفَ ستجعلُ التّروسُ المُسنَّنةُ البراغي تدورُ. رسمَ ذلِكَ بهذهِ الطَّريقةِ:

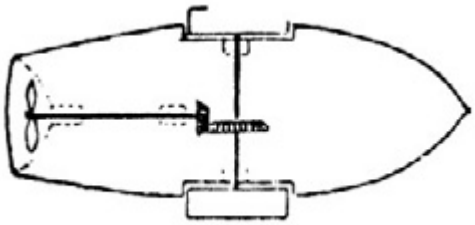

(استوعبْتُ ما يعنِيه فورًا، أمَّا مدلر وجوكستر فاضطرَّا إلى التَّمعُّنِ في الرَّسمِ فترةً.)

«أنتَ لا تعنِي أنَّكَ تحتاجُ إلى تروسِي المُسنَّنةِ لاختراعِكَ؟» هتفَ مدلر بسعادةٍ جمَّةٍ. «هذا كأنَّني بنيتُ المحرِّكَ الاحتياطيَّ بنفسي تقريبًا!»

ما حدَثَ ألهمَ مدلر كثيرًا إلى درجةِ أنَّهُ سارعَ إلى ارتداءِ أكبرِ مريلةٍ لديهِ، وبادرَ إلى طلاءِ أوركسترا المحيط حالًا. اشتغلَ بكلِّ ما أوتي من عزمٍ. وعندمَا انتهَى كانَ المركبُ البيتُ أحمرَ تمامًا، وكذلِك الأرضُ، ومعظمُ باحةِ السَّفينةِ أيضًا؛ وما شهدْتُ في حياتِي مطلقًا حمرةً أشدَّ منْ حمرةِ مدلر الفوضوي نفسِه.

عندَمَا أنجزَ كلَّ شيءٍ جاءَ هودجكينز ليتفقَّدَ العملَ.

«أليسَتْ جميلةً؟» استفسرَ مدلر بصوتٍ عصبيٍّ. «اشتغلْتُ بحذرٍ عظيمٍ.»

نظرَ هودجكينز إلى خطِّ الماءِ وغمغَمَ: «همفف، همفف!» ثمَّ نظرَ إلى الاسمِ علَى الجؤجؤِ وتمتمَ: «أهمف أهمف! أهمف!.»

«هل تهجئةُ الاسمِ صحيحةٌ؟» سألَه مدلر. «قلْ شيئًا رجاءً وإلَّا سأنفجرُ بالبكاءِ مجدَّدًا. اعذرْنِي! لم يكنِ الاسمُ سهلًا!»

«أوكسترا المحط،» قرأَ هودجكينز. «إيه، إيه إيه. أوه، طيب، ما المانعُ؟ وخطُّ الماءِ... أفترضُ أنَّ الأمواجَ ستتناسبُ معهُ جيِّدًا. أرى أنَّهُ ما زالَ لدينا بعضُ الطِّلاء. احتفِظْ بهِ.»

ضجَّ مدلر بالسَّعادةِ ثانيةً، وأسرعَ مبتعدًا ليدهنَ بيتَهُ.

وفي المساءِ أنزلَ هودجكينز شبكتَهُ في الغديرِ في محاولةٍ جديدةٍ. وماذا وجدَ؟ لنْ تخمِّنُوا مطلقًا. صندوقَ بوصلةٍ، وفيهِ بارومتر زئبقيٌّ جديدٌ! كم منَ العجيبِ أنْ يعثرَ المرءُ على مثلِ هذهِ الأشياءِ في غديرِنا الصَّغيرِ!

❃ ❃ ❃

«عجيبٌ فعلًا،» علَّقَ مومين ترول. كانَ مستلقيًا تحتَ أشجارِ اللَّيلكِ يتفرَّجُ على النَّحلِ الطَّنَّانِ.

«بابا،» تابعَ. «أهذا صحيحٌ حقًّا، أعنِي كلَّ ما كتبْتَهُ؟ كلَّ كلمةٍ فيهِ؟»

«نعم، كلُّ كلمةٍ مفردةٍ فيهِ يا ولدِي،» أجابَ بابا مومين بوقارٍ. «لربَّما شدَّدْتُ قليلًا على بعضِ الأحداثِ، لكنْ فعلتُ هذا لأجعلَها أكثرَ إقناعًا.»

«أتساءلُ ماذا حصلَ لمجموعةِ أبي،» قالَ سنيف.

«ها؟» هتفَ مومين ترول.

«مجموعةُ أزرارِ أبي،» أردفَ سنيف. «ألمْ يكنْ مدلر الفوضويُّ أبِي؟»

«بالتَّأكيدِ،» أجابَ بابا مومين.

«حسنًا، في هذه الحالة أنَا أتساءلُ فقط،» قالَ سنيف. «كان يجبُ أنْ أرثَها.»

«وماذا حصلَ لأبِي؟» استفسرَ سنفكين.

«تعني جوكستر؟» قالَ بابا مومين. «حسنًا يا أطفالُ المرءُ لا يعرفُ دائمًا ماذا حصلَ للآباءِ... أو لمجموعاتِهم. معَ ذلكَ، هَا قد أحييتُ ذكرَاهم عن طريقِ الكتابةِ عنهُم للأجيالِ القادمةِ.»

«هوَ أيضًا لم يحبَّ حرَّاسَ المتنزَّهاتِ،» غمغَمْ سنفكين. «فكِّرُوا في هذَا فقط...»

مدُّوا سيقانَهم على العشبِ، وتركُوا آذانَهم ترفرفُ بتكاسلٍ لتطردِ الذُّبابِ. كانَ الجوُّ لطيفًا ومغريًا للاسترخاءِ.

«أكتبْتَ المزيدَ منْ مذكَّراتِكَ؟» سألَ مومين ترول.

«ليسَ بعدُ،» أجابَ بابا مومين. «لكن إذَا بقيْتُم هادئينَ الآنَ سأنهِي الفصلَ، وأقرأُه لكمْ بعدَ العشاءِ. أينَ قلمَ مذكَّراتِي؟»

«هُنَا،» قالَ سنفكين. «رجاءً عدْنِي أنْ تكتُبَ الحقيقةَ كاملةً، ولا شيئًا آخرَ غيرَ الحقيقَةِ عنْ جوكستر! حتَّى لو اعتقلَتْهُ الشُّرطةُ.»

«أعدُكَ،» ردَّ بابا مومين، وعكفَ على الكتَابةِ.

❁ ❁ ❁

كانَ يومُ الانطلاقِ دافئًا بشكلٍ غيرِ عاديٍّ. وكانَ من الرَّائعِ النَّظرُ إلى أوكسترا المحط في باحتِها على عجلاتِها المطاطيَّةِ الأربعةِ (لتصعدَ إلى الضِّفافِ الرَّمليَّةِ)، وعلى سطحِ المركبِ البيتِ لمعَ مقبضُ بابٍ مُذهَّبٌ.

«أنتَ ستتحرَّكُ ثانيةً إذًا،» قالَ جوكستر وهو يتثاءَبُ. «يا لهَا من حياةٍ! لا نهايةَ فيها للتغييرِ والبناءِ ثمّ الهدمِ ثانيةً والقفزِ هُنا وهُناكَ. مثلُ هذَا الجهدِ الكثيرِ قد يتحوَّلُ إلى شيءٍ ضارٍّ حقًّا. أوه، تصيبُنِي الكآبةُ من مجرَّدِ التَّفكيرِ في جميعِ النَّاسِ الذينَ ينهمكُونَ في العملِ، ويئزُّونَ ويطنُّونَ، ثمَّ لا يقودُهم ذلك إلى شيءٍ. مرَّةً كانَ لديَّ ابنُ عمٍّ كرَّسَ جهدَهُ لدراسةِ علمِ المثلَّثاتِ إلى أنْ تهدَّلَ شارباهُ، وعندمَا تعلَّم كلَّ شيءٍ جاءَتِ الغروك والتهمَتْهُ. حسنًا، متَى نبدأُ؟»

«أنتَ قادمٌ أيضًا؟» سألْتُهُ.

«طبعًا!» أجابَ جوكستر بصوتٍ متعجِّبٍ.

«اعذرونِي رجاءً،» هتفَ مدلر الفوضويُّ، «أنا أيضًا يصدفُ أنَّ في ذهنِي شيئًا مماثلًا... ما عدْتُ أطيقُ العيشَ أطولَ ممَّا فعلْتُ في صفيحةِ القهوةِ.»

«أحقًّا؟» قلْتُ.

«ذلكَ الطِّلاءُ الأحمرُ لا يجفُّ أبدًا!» وضَّح مدلر. «معذرةً! إنَّهُ يدخلُ في طعامِي وفي سريرِي وشعرِي. وأنا أكادُ أجنُّ تمامًا، نعم يا هودجكينز، أكادُ

أجنُّ تمامًا!»

«لا، لا تفعلْ مهمَا كلَّفَ الأمرُ،» قالَ هودجكينز. «اذهبْ واحزمْ حاجيَّاتِكَ؛ لأنَّنا سنبحرُ اليومَ بأوكسترا المحط.»

«ياه!» صاحَ مدلر. «يا ربِّي، لديَّ الكثيرُ والكثيرُ ممَّا يجبُ فعلُه! إنَّها رحلةٌ طويلةٌ مميَّزةٌ... حياةٌ جديدةٌ استثنائيَّةٌ...» وسارعَ مدلر مبتعدًا والطِّلاءُ يتطايرُ منهُ في جميعِ الاتِّجاهاتِ.

لكنَّ إطلاقَ السَّفينةِ تطلَّبَ منَّا التَّفكيرَ مليًّا. عجلاتُ المركبِ البيتِ كانَتْ غارقةً بعمقٍ في الطَّحالبِ، أما السَّاريةُ فعالقةٌ بإحكام بينَ أجماتِ التِّينِ.

حفرْنَا الأرضَ، سحبْنَا حوضَ البناءِ إلى الأسفلِ... معَ ذلكَ لمْ تتحرَّكِ أوكسترا المحط.

جلسَ هودجكينز، ووضعَ رأسَهُ بين كفَّيهِ.

«لا تحزنْ، سنعثرُ على طريقةٍ مَا،» واسيتُهُ.

«لستُ حزينًا. أنا أفكِّرُ،» ردَّ هودجكينز بهدوءٍ. «هذهِ هي المشكلةُ؛ سفينةٌ عالقةٌ، لا تتحرَّكُ، لا يمكنُكَ أن تدفعَها إلى النَّهرِ. إذًا يجبُ أنْ ندفعَ النَّهرَ إليهَا. كيف؟ تحوِّلُ مجرَاهُ. كيف؟ تزيدُ ارتفاعه. كيف؟ تكوِّمُ الأحجارَ فيهِ.»

«وكيفَ هذَا؟» سألْتُهُ.

«لا!» صاحَ هودجكينز باندفاعٍ جعلَنِي أقفزُ. «لا داعي للأحجار. إِدوارد منفوخُ المؤخِّرةِ. يجلسُ في النَّهرِ، يشكّل فيه ما يشبه السدّ وبالتّالي يجعل الماء يفيض.»

«تعني أنَّ مؤخِّرتَهُ ضخمةٌ جدًّا؟» استفسرْتُ.

«أضخمُ من ضخمةٍ،» أجابَ هودجكينز. «أكبرُ مخلوقٍ في العالمِ، بعدَ أخيهِ. ألديْكَ تقويمٌ؟»

«لا،» قلْتُ والحماسَةُ بدأَتْ تستعِرُ فِي صدري.

«حساءُ بازلَّاءٍ، أوَّلُ أمس، واليومُ يومُ الاستحمامِ!» فكَّرَ هودجكينز بصوتٍ عالٍ. «كلُّ شيءٍ واضحٍ. تعالَ يا مومين.»

«هلْ جماعَةُ المنفوخينَ لطفاءُ؟» استفسرْتُ بحذرٍ ونَحنُ نمشِي نحوَ ضفَّةِ النَّهرِ.

«ليسَ كثيرًا. لكنَّهم ليسُوا خطرِينَ أيضًا،» أجابَ هودجكينز. «قدْ يدوسُ عليكَ عنْ غيرِ قصدٍ، ثمَّ يبكِي مدَّةَ أسبوعٍ لاحقًا. ويدفَعُ تكاليفَ الجَنازةِ كذلِكَ.»

«هذَا لا يساعدُ كثيرًا،» قلْتُ وقدرٌ ضئيلٌ جدًّا منَ الإقدامِ يقوِّينِي (إذْ كيفَ يتحلَّى المرءُ بالشَّجاعةِ إنْ لمْ يشعرْ بالخوفِ؟)

«ها هوَ هُنَا،» أعلنَ هودجكينز فجأةً.

«أينَ؟» قلْتُ. «أيعيشُ في هذا البرجِ؟»

«هذا ليسَ برجًا، هذهِ ساقُهُ،» ردَّ هودجكينز. «الزمِ الهدوءَ الآنَ رجاءً. عليَّ أنْ أصيحَ.»

ثمَّ وبأعلَى صوتِهِ صاحَ: «آهوي، أنتَ هناكَ! هودجكينز هُنَا في الأسفلِ! يا سيِّدُ إدوارد، أينَ ستستحمُّ في هذا اليومِ الجميلِ؟»

«في البحرِ طبعًا يا برغوثَ الرَّملِ،» تردَّدَ صوتٌ مُرعدٌ من مكانٍ مَا في السَّماءِ.

«لا بل في النَّهرِ! هناك ماءٌ جارٍ! وقاعٌ رمليٌّ ممتازٌ!» هدرَ هودجكينز.

«أكاذيبُ وتفاهاتٌ،» قالَ إدوارد منفوخُ المؤخِّرةِ. «أيُّ فأرةٍ تعرفُ أنَّ النَّهرَ يعجُّ بالأحجارِ.»

«لا، لا! إنَّهُ لطيفٌ وممهَّدٌ!» صاحَ هودجكينز.

زمجرَ منفوخُ المؤخِّرةِ بصوتٍ كصوتِ عاصفةٍ رعديَّةٍ بعيدةٍ. ثمَّ قالَ: «طيِّب، سأستحمُّ في النَّهرِ. ابتعدْ عنْ طريقِي، لا مالَ لديَّ لمزيدٍ منَ الجنازاتِ. وإذَا كنْتَ تخدعُنِي ستدفعُ تكاليفَ جنازتِكَ بنفسِكَ. تعرِفُ أنَّ قدميَّ حساستانِ جدًّا.»

«الآنَ!» لهثَ هودجكينز عندمَا عدْنَا إلى السَّفينةِ جريًا. «سيجلسُ... في النَّهرِ... غاضبًا... سيرتفعُ الماءُ... ويغمرُ الغابةَ... و...»

«ها هو الماءُ يفيضُ!» زعقْتُ وأنا أسمعُ من بعيدٍ صوتَ تدفُّقٍ عظيمٍ.

تعثَّرْنَا تقريبًا بجوكستر الَّذي التفَّ حولَ نفسِهِ بسلامٍ في خزانةِ الأدواتِ.

«الجميعُ إلى السَّفينةِ!» صرخَ هودجكينز. «عجبًا، تنامُ على أدواتِي!»

وما كدْنَا نرفعُ ذيولَنا داخلَ السَّفينةِ، إلَّا وكانَتْ موجةُ الفيضانِ قدْ بلغَتِ المركبَ البيتَ. وفي خضمِّ شلَّالٍ مدوَّمٍ منَ الرَّغوةِ البيضاءِ، تحرَّرَتْ أوكسترا المحط من كلِّ ما يعوِّقُهَا من تشابكاتٍ، وراحَتْ تحرِثُ الأرضَ عبرَ الغابةِ. حفَّتْ مجاديفُهَا، ودارَتْ براغيهَا. كانَتْ تروس مدلر الفوضويُّ تعملُ بطريقةٍ مثاليَّةٍ.

بكفٍّ ثابتٍ تسلَّمَ هودجكينز الدَّفَّةَ، وقادَنَا بسلامةٍ بينَ الأشجارِ.

يا لَهُ من انطلاقٍ منقطعِ النَّظيرِ! أخذَتِ الأزهارُ وأوراقُ الأشجارِ تنهالُ على سطحِ السَّفينةِ، مُزيِّنةً أوكسترا المحط بشكلٍ رائعٍ احتفاءً بقفزتِها الأخيرةِ المنتصرةِ في النَّهرِ.

بمجاديفَ تخوضُ الماءَ بسعادةٍ انحدرَتْ صوبَ وسطِ الماءِ. والمقبضُ المُذهَّبُ على سطحِهَا لمعَ وشعَّ تحت الشَّمسِ.

«ابحثُ عن ضفَّةٍ رمليَّةٍ،» صاحَ هودجكينز. «أريدُ أنْ أحاولَ التّقدم عبرها، لأختبرَ المفصَّلاتِ ومتانة العجلاتِ.»

أجلْتُ عينيَّ في النَّهرِ، لكن لمْ ألمحْ إلَّا شيئًا مثلَ صفيحةٍ حمراءَ تتمايلُ مع التّيار على مسافةٍ ما أمامِنا.

«لا شيء سوَى علبةٍ معدنيَّةٍ،» أدليْتُ بتقريرِي.

«بالمناسبةِ،» قالَ جوكستر. «قد يكونُ فيها ذلكَ المدلر.»

«أَنسيتَ ابنَ أخيكَ!» قلْتُ لهودجكينز.

«فعلًا. كيفَ نسيْتُهُ؟» غمغَمَ.

ما لبثْنَا أنْ رأيْنَا وجهَ مدلر الأحمر يظهرُ من فتحةِ صفيحتِهِ. حرَّكَ ذراعيهِ وأذنيهِ بجنونٍ، وبدَا واضحًا أنَّه علَى وشكِ خنقِ نفسِهِ بوشاحِهِ.

اتكأْتُ أنا وجوكستر على سورِ السَّفينةِ، وانتشلْنَا الصَّفيحةَ. كانَتْ ما زالت دبقَةً كثيرًا من الدّهانِ وثقيلةً نوعًا مَا.

«انتبِهَا للسطحِ،» أشارَ هودجكينز عندما رفعْنَا الصَّفيحةَ. «كيفَ تشعرُ يا بن أخِي العزيزَ؟»

«على حافَّةِ الجنونِ!» قالَ مدلر. «فكِّرُوا في هذَا! أمواجٌ تفيضُ في حاجيَّاتِي... كلُّ شيءٍ انقلبَ رأسًا علَى عقبٍ! فقدْتُ أفضلَ مزلاجِ نافذةٍ لديَّ، وربَّمَا منظِّفَاتُ الغليونِ أيضًا. أعصابِي غيرُ قابلةٍ للتصنيفِ وكذلِكَ مجموعَتِي.»

ثمَّ بدأَ مدلر الفوضوي يرتِّبُ مجموعَتَهُ ثانيةً بسعادةٍ. وتابعَتْ أوكسترا المحط رحلَتَهَا، تنزلِقُ بسلامٍ، والماءُ يتطايرُ برفقٍ على طولِ النَّهرِ. وقلْتُ لهودجكينز:

«أتمنَّى ألَّا نرَى مزيدًا من إدوارد منفوخِ المؤخِّرةِ. أتظنُّ أنَّه الآن غاضبٌ جدًّا علينَا؟»

«من غيرِ ريبٍ،» ردَّ هودجكينز وهو يشعلُ غليونَهُ.

3

ملخَّصٌ عن مأثَرتِي البطوليَّةِ الأولى، نتيجتُهَا الصَّاعقةُ، بعضُ الأفكارِ، ومجابهتِي الأولى معَ المُقرمشينَ.

خلَّفْنَا الغابةَ الخضراءَ المسالمةَ وراءَنَا، وأصبحَ كلُّ شيءٍ الآنَ فضفاضًا وكئيبًا. حيواناتٌ غريبةٌ تتجوَّلُ وهيَ تجأرُ وتعطسُ على طولِ ضفافِ النَّهرِ المنحدرَةِ. حالفَنَا الحظُّ طبعًا بتسلُّمِ هودجكينز لدفَّةِ القيادةِ، فَجوكستر لمْ يأخذْ أيَّ شيءٍ قطُّ على محملِ الجدِّ، واهتمامُ مدلر الرَّئيسُ لا يدورُ إلَّا حولَ صفيحتِهِ. كنَّا قدْ وضعنَاهَا عندَ مقدِّمةِ السَّفينةِ، وراحَتْ تجفُّ ببطءٍ تحتَ الشَّمسِ. (لكنَّنَا لمْ ننجحْ مطلقًا في تنظيفِ مدلر؛ بقيَ لونُهُ ورديًّا بعضَ الشَّيءِ.)

جلسْتُ أغلبَ الوقتِ في حجرَةِ التَّوجيهِ، أتأمَّلُ البلادَ المجهولَةَ، وأنقرُ على البارومتر، أو أمارِسُ رياضَةً بسيطَةً في الشُّرفَةِ الَّتِي اعتبرْنَاهَا منصَّةَ القبطانِ.

في مساءِ أحدِ الأيَّامِ وجَّهْنا مسارَنَا إلى خليجٍ منعزلٍ وعميقٍ.

«لا يُعجبُنِي هذا المكانُ،» علَّق جوكستر. «أشعرُ أنَّهُ نذيرُ شؤمٍ.»

«لا أدرِي،» قالَ هودجكينز. «إنَّهُ مرسًى جيِّدٌ. يا بنَ أخِي أنزلِ المرسَاةَ، أتسمَحُ؟»

«آي، آي يا سيِّدِي. في الحالِ سيِّدي،» صاحَ مدلر الفوضويُّ، وعلى الفورِ رمَى القِدرَ خارجَ السَّفينةِ.

«أكانَ عشاؤُنَا فيهِ؟» سألْتُه.

«أخشَى أنَّ هذَا صحيحٌ،» أجاب مدلر بصوتٍ مغمومٍ. «سامحونِي! ليسَ أسهل من رمي الشَّيءِ غير الصَّائبِ. سأُعِدُّ لكم بعضَ الهلامِ بدلًا منهُ... أينَ السُّكَّرُ؟»

«في علبةِ الأحذيَةِ،» قالَ هودجكينز، وأنزلَ المرساةَ بنفسِهِ. «وأنتَ يا جوكستر ما خطبُكَ؟»

«تراءَى لي أنَّني سمعْتُ شيئًا،» غمغمَ جوكستر، ثمَّ وقف إزاءَ السُّورِ، وأمعنَ النَّظرَ في الشَّاطئِ بعينَين مستقصيتَينِ. كانَ الغسقُ يحطُّ على الجبالِ الَّتي امتدَّتْ نحوَ الأفقِ صفًّا بعدَ صفٍّ.

«صِه!» هتفَ جوكستر. «سمعْتُهُ مجدَّدًا.»

نصبْنَا آذانَنا.

«لا بدَّ منْ أنَّكَ واهمٌ،» قلْتُ. «تعالَ إلى الدَّاخلِ سأشعلُ مصباحَ الكيروسِين.»

«ها هوَ الهلامُ،» قالَ مدلر وهو يقفزُ خارجًا من صفيحتِهِ، وثمَّةَ صحنٌ يحملُهُ بكلتَا يديهِ.

ثمَّ سمعْنَا الصَّوتَ كلُّنا.

عواءٌ وعويلٌ، نداءُ قنصٍ آتٍ من بعيدٍ في الجبالِ. زعقَ مدلَر وأسقطَ الصَّحنَ الَّذي تحطَّمَ بصوتٍ مقعقعٍ.

«إنَّها الغروك،» قالَ هودجكينز.

«أيمكنُهَا أنْ تسبحَ؟» سألْتُه.

«لا أدرِي،» ردَّ هودجكينز. «اسمعُوا، إنَّها تلاحقُ أحدَهُم.»

كانتِ الغروكُ تطاردُ ضحيَّتَها في الجبالِ. عوَتْ بصوتٍ مروِّعٍ - في بعضِ اللَّحظاتِ فَترَ وقعُ العواءِ، وفي لحظاتٍ أخرى ازدادَ قربًا - ثمَّ سادَ السُّكونُ، وهذا هوَ الأسوأُ، إذْ يمكنُ أنْ يتخيَّلَ المرءُ بِلا جهدٍ ظلَّهَا الرَّماديَّ يسابقُ الرِّيحَ تحْتَ ضوءِ القمرِ البازغِ.

شاعَ جوٌّ باردٌ في سطحِ السَّفينةِ.

«انظرُوا،» هتفَ جوكستر.

شخصٌ مَا اندفعَ باستماتَةٍ نحوَ الماءِ، وبدأَ يتخبَّطُ فيهِ هُنا وهُناك على طولِ الضِّفَّةِ.

«ضحيَّةُ الغروك،» قالَ هودجكينز. «سيؤكَلُ حيًّا.»

«ليس أمامَ عيني مومين!» زعقْتُ. «سأنقذُهُ!»

«لا نملك زورقًا،» قالَ هودجكينز. ورفْعُ المرساةِ يستغرقُ وقتًا طويلًا، والمحرِّكُ مخادعٌ. فاتَ الأوانُ.»

لكنِّي اتَّخذْتُ قراري. قفزْتُ من فوقِ السُّورِ وصحْتُ: البطلُ المجهولُ لا يطلبُ أكاليلَ زهورٍ علَى قبرِهِ. بيدَ أنَّني أُقدِّرُ نصبَ تذكارٍ منَ الصَّوانِ يمثِّلُ هيميولنتين تبكيان!» وهكذا غطسْتُ برأسِي في الماءِ القاتمِ، ولمَّا ارتفعْتُ خبطَنِي قِدر مدلر. بحضورٍ ذهنيٍّ عظيمٍ أفرغْتُ القِدرَ من اليخنَةِ الآيرلندية، ثمَّ توجَّهْتُ مباشرةً كالطُّوربيدِ إلى الشَّاطئ، وأنا أدفَعُ القِدرَ أمامي بخطمِي.

«تشجَّعْ!» صحْتُ. «المومين آتٍ! هناكَ شيءٌ نتنٌ في بلادٍ تسمحُ للغروك بالتهامِ المواطنينَ!»

انزلقَتِ الحجارةُ، والحصَى تصلْصلُ من سفحِ الجبلِ. توقَّفتِ الغروكُ عن ترديدِ أنشودةِ قنصِ ضحيَّتِهَا، واستطعْتُ سماعَهَا تنفخُ وتلهثُ بينما أقبلَتْ تجرِي أقربَ فأقرب.

«القِدر!» زعقْتُ مخاطبًا الضَّحيَّةَ.

قفزَتِ الفريسَةُ إليها، وغرقَتِ القِدرُ إلى مقبضَيها.

يدٌ ما تشبَّثَتْ بذيلِي في الظَّلامِ... ربَّاهُ! مفخرةٌ مَجيدةٌ! مأثرةٌ فريدةٌ! باشرْتُ رحلةَ العودَةِ البطوليَّةِ إلى أوكسترا المحط، حيثُ وقفَ رفاقِي يترقَّبونَ بقلقٍ وأنفاسٍ منقطعةٍ.

كانَ المخلوقُ الذي أنقذْتُه ثقيلًا جدًّا.

سبحْتُ بكلِّ ما أوتيتُ من عزمٍ، مستخدمًا ضرباتِ ذيلٍ دائريَّةٍ وحركاتِ بطنٍ إيقاعيَّةٍ، رُفِعتُ إلى السَّفينةِ، سقطْتُ على سطحِهَا، وسرعانَ مَا أُفرغَتِ القِدرُ من حمولتِهَا، أمَّا الغروكُ فوقفَتْ عندَ الشَّاطِئ تعوي منْ فرطِ خيبةِ أملِهَا. (هي لا تستطيعُ أنْ تسبحَ). أشعلَ هودجكينز مصباحَ الكيروسين ليرَى مَن أنقذْتُ.

أعتقدُ أنَّ تلك كانَتْ أسوأَ لحظةٍ من لحظات شبابِي العاصفِ. إذْ على سطحِ السَّفينةِ الرَّطبِ أمامِي، وبقلنسوةٍ مزيَّنةٍ بالرِّيشِ والكرَزِ قبعَتِ الهيميولنة.

لقَدْ أنقذْتُ حياةَ الهيميولنة.

من هولِ الواقِعةِ في البدايَةِ رفعْتُ ذيلي بزاويةِ 45 درجة كمَا سبقَ أنْ عُلِّمْتُ، ثمَّ في اللَّحظةِ التَّاليةِ تذكَّرتُ أنَّني مومين حرٌّ، فقلْتُ بلا مبالاةٍ: «حقًّا! يا لَهَا من مفاجأةٍ! ما كنتُ مطلقًا لأصدِّقَها!»

«تصدِّقُ ماذَا؟» سألَتْنِي الهيميولنة وهي تنفضُ بقايا اليخنة الآيرلنديَّةِ من على مظلَّتِها.

«أنَّني أنقذْتُكِ. أعنِي، أنَّ حياتَكِ قُدِّرَ لهَا أنْ تُنقَذَ على يديَّ،» قلْتُ. «أعنِي، هلْ تسلَّمتِ رسالَتِي؟»

«أَنَا ما رأيتُكَ منْ قبلُ قطُّ أيُّها الشَّابُ،» أجابَتْ. «ولمْ أتسلَّمْ أيَّ رسالةٍ منكَ. أنْتَ على الأرجَحِ نسيتَ أنْ تلصِقَ عليها طابعًا، أو أنْ تكتبَ العنوانَ على المغلَّفِ، أو أنْ تضعَها في صندوقِ البريدِ. بل أنتَ على الأرجحِ لا تتقِنُ الكتابَةَ أبدًا.»

«أيعرفُ أحدُكمَا الآخرَ؟» سألَنَا هودجكينز باهتمامٍ.

«لا،» قالَتِ الهيميولنة. «أنا عمَّةُ الهيميولن. ولا أعرفُ إلَّا النَّاسَ الرَّاشدينَ العاقلينَ. مَنِ الَّذي كانَ يسكبُ الهلامَ في جميعِ أنحاءِ سطحِ السَّفينةِ؟ أحضرُوا لي خرقةً؛ ينبغِي أنْ أنظِّفَ السَّطحَ.»

هرعَ هودجكينز إليها بمنامةِ جوكستر، وبادرَتْ عمَّةُ الهيميولن إلى تنظيفِ السَّطحِ بهَا.

راقبْنَاهَا بصمتٍ.

«ألمْ أخبرْكُم عن شعورِي بنذُرِ الشُّؤمِ؟» غمغمَ جوكستر أخيرًا.

عندئذٍ التفتَتْ عمَّةُ الهيميولن وقالَتْ:

«اسكُتْ، أنتَ، لو سمحت. إنَّكَ أصغرُ بكثيرٍ من أنْ تدخِّنَ. يجبُ أنْ تشربَ الحليبَ، ذاك شيءٌ صحيٌّ، وسيحميكَ من رعشةِ اليدينِ، واصفرارِ الأنْفِ، والذَّيلِ المنتوفِ؛ هذا ما يصيبُ المدخِّنينَ. من حسنِ حظِّكم أنَّني الآنَ معكُم في السَّفينةِ. ومن الآنَ فصاعدًا سنضعُ الأمورَ في نصابِها!»

«يجبُ أنْ أتفحَّصَ الزُّجاجَ،» دمدَمَ هودجكينز. وتسلَّلَ إلى قمرةِ القيادةِ، وأغلقَ البابَ خلفَهُ.

لكن كان ذلك الزُّجاجُ قد تشقَّقَ إلى أربعينَ ثلمًا وانهارَ، ولم يتجاسرْ علَى الالتئامِ ثانيةً إلَّا بعدَ رحيلِ المُقرمشينَ.

ولنْ ألبثَ أنْ أخبرَكم عن ذلكَ.

❃ ❃ ❃

«حسنًا، وصلْتُ إلى هذَا الحدِّ،» قالَ بابا مومين بصوتِهِ المعتادِ، ورفعَ عينيهِ عنْ مخطوطتِهِ.

«سيكونُ أكثرَ الكتبِ رواجًا!» انبرَى مومين ترول يقولُ وهوَ ينظرُ بفخرٍ إلى صديقَيهِ؛ سنيف وسنفكين. «ألَا تظنُّونَ أنَّنا سنصبحُ أثرياء؟»

«من أصحابِ الملايين!» أجابَ بابا مومين بصوتٍ واثقٍ.

«في هذهِ الحالِ يجبُ أنْ نتقاسمَ المالَ،» أعلنَ سنيف. «لأنَّكَ جعلْتَ أبي مدلر البطلَ.»

«بدا لي أنَّ جوكستر هو البطلُ،» اعترضَ سنفكين. «يا لهُ من أبٍ! إنَّهُ أنَا في كلِّ شبرٍ منهُ!»

«إنَّ أبويكما ليسا إلَّا مجرَّدَ خلفيَّةٍ في الكتابِ!» صاحَ مومين ترول، وركَلَ سنيف من تحتِ الطَّاولةِ. «يكفيهما أنَّ ذكرَهمَا جاءَ بأيِّ حالٍ!»

«مَنِ الذي جاءَ ذِكرُه؟» سألَتْهُم ماما مومين من بابِ المطبخِ. «ومَن لمْ يأتِ ذِكرُه؟»

«بابا يقرأُ لنَا سيرةَ حياتِهِ،» أجابَ مومين ترول.

«أهيَ مسلِّيةٌ؟» استفسرَتْ ماما مومين.

«بشدَّةٍ.»

«جيِّدٌ،» قالَتْ ماما مومين. «فقط لا تقرأْ لهم أيَّ شيءٍ يمكنُ أن يضربَ للأطفالِ مثلًا سيِّئًا. اكتَفِ بقولِ فاصلة، فاصلة، فاصلة، بدلًا من ذلِكَ في مثلِ تلكَ الفقراتِ. أتريدُ غليونَكَ؟»

«لا تسمَحِي لهُ بالتَّدخينِ!» صاحَ سنيف. «عمَّةُ الهيميولن تقولُ إنَّ المدخِّنين تصبحُ كفوفُهم مرتعشةً وأنوفُهم صفراءَ، وذيولُهم منتوفةً.»

«لسْتُ واثقةً كثيرًا من هذَا،» ردَّتْ ماما مومين. «لقدْ دخَّنَ طوالَ حياتِهِ، وهو لا يرتعِشُ وليسَ أصفرَ أو منتوفَ الذَّيلِ. أيُّ شيءٍ تحبُّهُ هو مفيدٌ لكَ.»

ثمَّ أشعلَتْ غليون بابا مومين، وفتحَتِ النَّافذَةَ ليدخلَ نسيمُ المساءِ، وعادَتْ إلى المطبخِ وهيَ تصفِّرُ لتغليَ بعضَ القهوةِ.

«كيفَ استطعْتُم نسيانَ مدلر وأنتُمْ تنطلقونَ!» قالَ سنيف بنبرةِ لومٍ. «هلْ أعادَ تصنيفَ مجموعَتِهِ منَ الأزرارِ مجدَّدًا؟»

«أوه، عدَّةَ مرَّاتٍ،» أجابَ بابا مومين. «كان دائمًا يخترعُ تصنيفًا جديدًا. رتَّبَهَا حسبَ اللَّونِ، الحجمِ، الشَّكلِ، النَّوع، وحسب الَّتي أحبَّها أكثرَ من غيرِها.»

«عظيمٌ،» هلَّلَ سنيف.

«ما يقلقُنِي أنَّ منامةَ أبي تلطّخت بالهلامِ،» قالَ سنفكين. «بأيِّ شيءٍ نامَ إذًا؟»

«بمنامَتِي،» أجابَ بابا مومين، ونفثَ غيمةَ دخانٍ كبيرةٍ من غليونِهِ.

تثاءَبَ سنيف.

«أترافقَانِي لاصطيادِ الوطَاويطِ؟» تساءَلَ.

«طيِّب،» وافقَ سنفكين.

«إلى اللِّقاءِ بابا،» قالَ مومين ترول.

بقيَ بابا مومين في الشُّرفَةِ. جلسَ يفكِّرُ فترةً منَ الوقتِ، ثمَّ تناولَ قلمَ المذكَّراتِ، وتابعَ كتابةَ سيرةِ شبابِهِ.

❁ ❁ ❁

في الصَّباحِ التَّالِي كانَ انشراح عمَّة الهيميولن مدمّرًا. في السَّادسةِ صباحًا استيقظْنَا على صياحِهَا:

«صباحُ الخيرِ! صباحُ الخيرِ!! صباحُ الخيرِ للجميعِ!!! وما هِيَ خططُنَا لليوم؟ ماذَا عن مسابقةِ رتقِ جواربَ تحتَ الشَّمسِ؟ لقدْ فتَّشتُ في صناديقِكُم البحريَّةِ، كما ترونَ. أو ماذَا عن اختبارِ تاريخٍ لطيفٍ؟ جيِّدٌ، جيِّدٌ جيِّدٌ! وما الوجبةُ اليومَ؟ شيءٌ صحيٌّ كمِا آملُ؟»

(أعتقدُ أنَّنَا أحببْنَاهَا أكثرَ وهي غاضبةٌ.)

«كهوَة،» قالَ مدلر.

«بل عصيدةٌ،» اعترضَتْ عمَّةُ الهيميولن. «القهوةُ لكبارِ السِّنِّ وخائري القوى.»

«عرفْتُ مرَّةً شابًّا ماتَ مِنَ العصيدَةِ،» دمدَمَ جوكستر. «التصقَتْ بحنجرَتِهِ وخنقَتْهُ.»

«أتساءَلُ ما قدْ يقولُه أهلُكَ إذا رأوكَ تبدأُ صباحَكَ بشربِ القهوةِ،» قالَتْ عمَّةُ الهيميولن. «لكن أفترضُ أنَّكَ لم تتلقَّ تربيةً جيِّدةً. أو حتَّى لمْ تتلقَّ تربيةً مطلقًا. أو وُلدْتَ وكانَتْ تربيتُكَ مستحيلةً.»

«أنا ولدْتُ تحت تأثيرِ مواقعَ كواكبَ مميَّزةٍ،» قلْتُ. «وعُثِرَ عليَّ في صدَفةٍ صغيرةٍ مبطَّنةٍ بالقطيفَةِ.»

«أهلِي فُقِدُوا أثناءَ تنظيفاتِ الرَّبيعِ! من بعدِ إذنِك!» أعلَنَ مدلر.

«آخرُ مرَّةٍ سمعْتُ عن أهلِي كانُوا في حالةِ حرْبٍ معَ حارسِ متنزَهٍ،» قالَ جوكستر.

«أهمف،» همهَمَ هودجكينز. (أفترضُ أنَّهُ عنَى بذلِكَ أنَّ أفضلَ وقتٍ لمناقشَةِ موضوعِ الأهْلِ عندَمَا يكونُ المرءُ صغيرًا جدًّا أو طاعِنًا في السِّنِّ وخائر القوى بمَا يكفِي ليُسمحَ لهُ بشربِ القهوَةِ في الصَّباحِ.)

نظرَتْ عمَّةُ الهيميولن إلينا مِنْ فوقِ نظَّارتِهَا.

«منَ الآنَ فصاعدًا سأعتِني بكمْ،» قالَتْ.

«لا داعي لأنْ تفعلِي،» صحْنَا بصوتٍ واحدٍ.

بيدَ أنَّهَا هزَّتْ رأسَها، وقالَتْ بصوتٍ مرحٍ: «هذا ببساطةٍ واجبِي الهيميولني. سأذهَبُ الآنَ وأحضِّرُ لكمْ مسابقَةً حسابيَّةً في الضَّربِ.»

عندمَا اختفَتْ عمَّةُ الهيميولن في قمرَتِهَا تكوَّرْنَا تحتَ خيمةِ الشَّمسِ في مقدمةِ السَّفينةِ، وحاولَ كلٌّ منَّا تهدئةَ الآخرِ. تركْنَا أوكسترا المحط تعتَنِي

بنفسِهَا فترةً.

«بحقِّ ذيلي!» هتفْتُ. «لن أنقذَ أيَّ مخلوقٍ في الظَّلامِ ثانيةً!»

«فاتَ الأوان الآنَ،» قالَ جوكستر. «في أحدِ هذهِ الأيَّامِ ستقذِفُ غليونِي خارجَ السَّفينةِ، وتجعلُنِي أعملُ. أنا متأكِّدٌ من أنْ لَا حدودَ لمَا قدْ تُقدِم على فعلِه.»

«قدْ نجتمعُ بالغروك مجدَّدًا؟» غمغَمَ مدلر والأملُ يحدوهُ. «أو بِأيِّ أحدٍ آخرَ يكون لطيفًا جدًّا بحيثُ يأكلُها؟ اعذرُونِي! أهذهِ قسوةٌ منِّي؟»

«أممم،» غمغَمَ هودجكينز.

جلسْنَا صامتين.

«لو أنَّني كنْتُ رجلًا عظيمَ الشَّأنِ،» قلْتُ. «عظيمَ الشَّأنِ ومشهورًا. عندئذٍ لا أحتاجُ إلى تلقِي أيِّ ملاحظةٍ منهَا.»

«كيفَ يصبحُ المرءُ مشهورًا؟» سألَنِي جوكستر.

«أوه، فقط بتحقيقِ شيءٍ لمْ ينجحْ أحدٌ في تحقيقِهِ.»

«علَى سبيلِ المثالِ؟» عادَ جوكستر واستفسَرَ.

«اختراعُ مركبِ بيتٍ يطيرُ،» أجابَ هودجكينز بعينَين لامعتَين.

«يبدو لي أنَّ الشُّهرةَ مملَّةٌ،» علَّقَ جوكستر. «لعلَّهَا مسلِّيةٌ في البدايةِ، لكنْ بعدَ ذلِكَ أفترضُ أنَّكَ تعتادُ عليهَا، وسرعَانَ ما تسأَمُ منهَا، مثلَ ركوبِ دوَّامةِ الخيلِ.»

«وما تلكَ؟» استفهمْتُ.

«ألَا تعرفُ؟» قالَ هودجكينز. «اختراعٌ مثيرٌ جدًّا. سأريكَ المبدأَ الخاصَ بهَا.»

تناولَ قلمَ رصاصٍ وبعضَ الورقِ.

هودجكينز مطَّلعٌ على كلِّ شيءٍ يخصُّ المحرِّكاتِ والماكينَاتِ! وكانَ يحبُّهَا أيضًا، أمَّا أنَا فلطالمَا شعرْتُ أنَّها تروِّعُنِي قليلًا. دولابُ ماءٍ لا بأسَ به، لكنَّني رسمْتُ خطًّا عندَ ذلك الحدِّ. بل حتَّى السَّحَّابُ يبدو لي موضعَ شكٍّ. كان لدى جدِّ جوكستر مرَّةً بنطلونٌ بسحَّابٍ، وفي أحدِ الأيَّامِ علقَ السَّحَّابُ، وبقيَ عالقًا إلى الأبدِ.) هممْتُ أن أعبِّرَ عن شيءٍ من هذهِ الأفكارِ لرفاقِي عندما جعَلَنَا صوتٌ غريبٌ نستديرُ.

كان أقربُ إلى زمجرةٍ منخفضةٍ وشبهِ مكتومةٍ، كما لو أنَّ شخصًا ما يجأرُ خلالَ أنبوبِ صفيحٍ. وقعُه كانَ قطعًا مروِّعًا.

تفحَّصَ هودجكينز السُّورَ، ونطقَ بالكلمةِ الوحيدةِ المشؤومةِ: «المُقرمشُون!»

قد يكونُ سردُ شرحٍ موجزٍ هُنا ضروريًّا، على الرَّغمِ من أنَّ هذهِ حقائقُ معلومةٌ لجميعِ المخلوقاتِ العاقلةِ.

بينما كُنَّا نستريحُ في الظِّلِّ تحتَ خيمةِ الشَّمسِ انحرفَتْ أوكسترا المحط ببطءٍ نحو الفمِ النَّهريِّ حيثُ يعيشُ المُقرمشون. المُقرمشُ مخلوقٌ اجتماعيٌّ ويمقتُ البقاءَ وحدَهُ. يعيشُ تحتَ قيعانِ الأنهارِ، يحفرُ أنفاقًا بأسنانِهِ، ويشكِّلُ مستعمراتٍ سعيدةً نوعًا ما. مهارتُه في البناءِ تضاهِي مهارَتِي تقريبًا. هو ذو طبيعةٍ طيِّبةٍ، ما عدا أنَّه يعجز عن منعِ نفسِهِ من قضمِ الأشياءِ ومضغِها، خصوصًا الأشياءَ الغريبةَ والمجهولةَ.

المُقرمشُ لديه عادةٌ سيئةٌ واحدةٌ: هو مولعٌ بقضمِ الأنوفِ إذَا كانتْ طويلةً جدًّا (إذا أعجبتْهُ طبعًا). لذا تملَّكَنَا إلى حدٍّ ما شعورٌ بالتَّوترِ، لأسبابٍ واضحةٍ بلا شكّ.

«لا تغادِرْ صفيحَتك!» صاحَ هودجكينز مخاطبًا مدلر.

توقَّفَتْ أوكسترا المحط وسكَنَتْ تمامًا أمامَ حشدِ المقرمشينَ الهائلِ. تفحَّصُونا بصمتٍ وهمْ يخوضونَ الماءَ ويهزُّونَ شواربَهم.

«رجاءً أفسحُوا لنا المجالَ،» قالَ لهم هودجكينز.

لكنَّ المُقرمشينَ دنَوا أكثرَ منَ المركبِ البيتِ، ثمَّ بدأَ اثنانِ منهمْ يتسلَّقانِ جانبَ السَّفينةِ. كانَتْ قوائمُ المُقرمشينَ ذاتَ شفاطاتٍ دبقةٍ.

عندما أقحمَ أوَّلُ مُقرمشٍ رأسَهُ فوقَ السُّورِ ظهرَتْ عمَّةُ الهيميولن على السَّطحِ مجدَّدًا.

«ما كلُّ هذَا؟» تساءَلَتْ. «مَن هؤلاء؟ لا يمكنُ أنْ أسمحَ لهم بالصُّعودِ ليشوِّشُوا على مسابقةِ الضَّربِ.»

«لا تخيفيهم! سيغضبُهم هذَا،» حذّرها هودجكينز.

«أنا الغاضبَةُ،» صاحَتْ عمَّةُ الهيميولن. «هشْ، هشْ، هيَّا ارحلُوا!» ثمَّ ضربَتْ رأسَ أقربِ مُقرمشٍ إليهَا بمقبضِ مظلَّتِها.

في الحالِ التفَت المُقرمشونَ لينظرُوا إلى عمَّةِ الهيميولن. بدَا واضحًا أنَّهم أطالُوا تأمُّلَ أنفِها. عندما اكتفُوا من تأمُّلِهِ، أطلقوا مرَّةً أخرى صوتَ ذلكَ الخوارِ المكتومِ الغريبِ كأنَّهُ من داخل أنبوبٍ. وبعدَ ذلِكَ جرَتِ الأحداثُ بسرعَةٍ عجيبَةٍ.

عجَّ سطحُ السَّفينةِ بآلافِ المُقرمشينَ. رأينا عمَّةَ الهيميولن تفقدُ توازنَها، وفي غضونِ ثوانٍ، وهيَ تلوِّحُ بمظلَّتِها بجنونٍ، حُمِلَتْ على سجَّادةٍ حيَّةٍ من ظهورٍ كثيفةِ الشَّعرِ. وبصرخَةٍ ثاقبَةٍ انقلبَتْ من فوقِ السُّورِ واختفَتْ. بعدَ لحظَةٍ لم يبقَ مُقرمشٌ واحدٌ يمكنُ أنْ تراهُ العينُ.

غرقْنَا في الصَّمتِ، ثمَّ مَا لبثَتْ أوكسترا المحط أنْ واصلَتْ تقدُّمَها.

«حسنًا،» بدأَ جوكستر. «لماذَا لمْ تنقذْهَا؟»

حثَّتْنِي فروسيَّتِي كي أهبَّ لنجدَتِها، لكنَّ غرائزِي الطَّبيعيَّةَ والشِّريرَةَ أخبرَتْنِي أنَّ ذلِكَ لنْ يفيدَ في شيءٍ.

«فاتَ الأوانُ الآن،» تمتمْتُ. وهذا ما كانَ فعلًا.

«أهمف،» همهمَ هودجكينز بشيءٍ منَ الحيرَةِ.

«حسنًا، ذاك ذاك،» علَّق جوكستر.

«نهايةٌ مؤسفةٌ،» قلْتُ.

«معذرة، هل أَنا المخطِئُ؟» سألَنَا مدلر. «لقدْ قلْتُ، ألمْ أقُلْ، إِنَّنِي أتمنَّى أنْ يسدينَا أحدٌ معروفًا ويأكلَها؟»

حسنًا - ماذا يمكنُ أنْ يفعلَ المرءُ؟

لقد أنقذْتُ حياتَها مرَّةً، ومصيبةُ الغروك أسوأُ بكثيرٍ من مصيبةِ المُقرمشين. المُقرمشون ليسُوا في غايةِ السُّوءِ في الحقيقةِ... ولعلَّهَا ستستمْتِعُ بالتَّغييرِ؟ بل ربَّما قد تبدو أجملَ بأنفٍ أصغرَ؟

أشرقتِ الشَّمسُ بسلامٍ، وبادرْنَا إلى تنظيفِ سطحِ السَّفينةِ. كان دبقًا جدًّا منْ أقدامِ المُقرمشين. ثمَّ غليْنَا كمِّيَّةً هائلةً من قهوةٍ سوداءَ قويَّةٍ ولذيذةٍ.

بدا أنَّ أوكسترا المحط مطوَّقةٌ بمئاتٍ ومئاتٍ من جزرٍ صغيرةٍ مستويةٍ.

«لا نهايةَ لتلكَ الجزرِ،» قلْتُ. «ما هي وجهتُنَا؟»

«أيُّ مكانٍ... ولا مكان...» قالَ جوكستر وحشا غليونَهُ بالتَّبغِ. «ماذَا عن هذَا؟ نحنُ بخيرٍ، ألسْنَا كذلِكَ؟»

نعم، طبعًا. لكنْ معَ ذلِكَ...

في أغلَبِ الأحيانِ تجتمعُ الموهبَةُ العظيمةُ معَ القلبِ المشوَّشِ. وقلبِي لطالَمَا تاقَ إلى أماكنَ جديدة ومعارفَ آخرين.

جلسْتُ عندَ الجؤجؤِ وعيناي تسبرانِ المدَى، بينمَا تفكَّرْتُ في تجاربي والحدِّ الَّذي وصلْتُ إليهِ. كانَتْ كالتَّالِي:

1. حاوِلُوا أنْ تنجبُوا أطفالَ المومين في لحظةٍ فلكيَّةٍ منطقيَّةٍ ومناسبَةٍ، وامنحُوهم دخولًا رومانسيًّا إلى هذَا العالمِ.

2. النَّاسُ لا يستسيغونَ السَّماعَ عَنِ الهيميولن عندَمَا يكونُ لديهم شيءٌ آخرُ يشغلُهم.

3. لا يمكِنُ أنْ يخمِّنَ المرءُ أنَّ أيَّ بارومتر زئبقيٍّ قدْ يعلقُ في شبكةِ صيدٍ.

4. أبدًا لا تدهَنُوا صفيحَةَ قهوةٍ لمجرَّدِ أنَّ هناكَ بعضَ الطِّلاءِ المتبقِي لديكُم.

5. كلُّ الحيواناتِ الكبيرَةِ ليسَتْ خطرةً.

6. كلُّ الحيواناتِ الصَّغيرةِ ليسَتْ خائفةً.

7. حاولُوا تجنُّبَ إنقاذِ النَّاسِ في الظَّلامِ.

بينما جلسْتُ أصنِّفُ في ذهْنِي حقائِقَ الحياةِ المميَّزةِ هذهِ، مرَّتِ السَّفينةُ بآخرِ الجزرِ الصَّغيرةِ - وفجأةً قفزَ قلبِي إلى حلقِي مباشرةً، والتصقَ هناكَ.

أمامَنا ترامَى المحيطُ، أزرقَ، شاسعًا ومتلألئًا!

«هودجكينز!» صِحْتُ. «المحيطُ أمامَنا!»

«إنَّهُ هائلٌ جدًّا!» هتفَ مدلر واختفَى في صفيحتِهِ. «اعذروني! منظرُه يدغدغُ عينَيَّ ولا أدرِي في أي شيء أفكِّرُ!»

جاءَ جوكستر إلى سطحِ السَّفينةِ متعجِّبًا، فهو لمْ يسبقْ لهُ قطُّ أنْ شاهدَ المحيطَ.

«يا لزرقَتِه،» صاحَ. «هيَّا نمضِي إِلَى الأمامِ مباشرةً، نطوي الموجَ ونامُ، ولا نصلُ أبدًا إلى أيِّ مكانٍ.

«أنتَ تتحدَّثُ مثلَ الهاتيفاتنر،» قالَ هودجكينز.

«مثلَ ماذَا؟» سألْتُهُ.

«الهاتيفاتنر،» أجابَ. «ألَمْ يسبقْ أنْ رأيْتَ واحدًا؟ لا سلام، ولا استراحة. عَلَى سفرٍ دائمٍ. سفر، سفر، سفر، من دونِ كلمةٍ واحدةٍ؛ همْ خرسٌ.»

«يا للعجَبِ،» قلْتُ. «أيُّ عالمٍ غريبٍ هذا العالمُ.»

«فعلًا،» وافقَ هودجكينز.

اهتدَينا إلى مرفَأ في جونٍ صغيرٍ مستديرٍ، أشبهُ بحوضِ استحمامٍ مصقولٍ بينَ صخورٍ ومنحدراتٍ شاهقةٍ.

وما لبثْنَا أنْ نزلْنَا إلى اليابسةِ لنجمعَ الأصدافَ. كانَ الشَّاطئُ يعجُّ بأعشابِ البحرِ الحمراءِ والصَّفراءِ، وقناديلِ البحرِ الشَّفافةِ، والسَّراطينِ وقنافذِ البحرِ.

أبديْنَا إعجابَنَا بالرَّملِ الَّذي تجمَّعَ بأناقَةٍ على شكلِ خطوطٍ متموِّجةٍ في ظلالِ البحرِ. تسلَّقْنَا وهبطْنَا خلالَ المنحدراتِ الَّتي كانت ناعمةً كالحريرِ، ودافئةً جدًّا تحتَ شمسِ المساءِ اللَّطيفةِ. مضَى مدلر يتحرَّى الشَّاطئَ بحثًا عن أحجارٍ غريبةٍ.

أنا متأكِّدٌ من أنَّ ابنِي مومين ترول ورثَ ولعِي بالبحرِ. أفتخرُ بهِ عندمَا يغوصُ باحثًا عنِ اللُّؤلؤِ، أو يذهبُ ليستكشِفَ الكهوفَ، أو يعملُ على إنقاذِ الحطامِ! لكنّ البقاء في البحرِ ولا شيءٌ على مدى النَّظرِ سوى الأفُقِ مضجرٌ قليلًا لجماعةِ المومين. نحنُ نحبُّ الأشياءَ المتغيِّرةَ. كلُّ ما هو غيرُ متوقَّعٍ وغريبٌ ومختلطٌ، مثلَ الشَّواطئِ وغروبِ الشَّمسِ والرَّبيعِ.

ثمَّ أقبلَ المساءُ، ببطءٍ بالغٍ وبحذرٍ، ليمنحَ النَّهارَ وقتًا كافيًا كي يستعدَّ للنومِ. تناثرَتْ في السَّماءِ غيومٌ صغيرةٌ كأنَّها لمساتٌ من قشدَةٍ ورديَّةٍ مخفوقَةٍ. صورتُهَا انعكسَتْ في المحيطِ الَّذي انبسطَ ساكنًا ومصقولًا. وبدا غيرَ مؤذٍ على الإطلاقِ.

«أسبقَ لكَ أنْ رأيْتَ غيمةً قريبةً جدًّا؟» سألْتُ.

«لا،» أجابَ هودجكينز. «أتوقَّعُ أنَّها رطبةٌ وباردةٌ.»

«أعتقدُ أنَّها أقربُ إلى المهلبيَّةِ،» قالَ جوكستر.

جلسْنَا على صخرَةٍ ندردِشُ. كانَ الهواءُ عابقًا بعبيرِ أعشابِ البحرِ، وبشيءٍ آخرَ لا يمكنُ إلَّا أنْ يكونَ رائحةَ المحيطِ.

شعرْتُ بسعادةٍ جمَّةٍ إلى درجةِ أنَّنِي لم أخشَ ألَّا تدومَ.

«ألَا تشعرُ بالارتياحِ؟» استفسرْتُ.

«نوعًا ما،» أجابَ هودجكينز (فعرفْتُ من ردِّه أنَّهُ كانَ يشعرُ بسعادةٍ بالغةٍ ومفرطةٍ.)

في تلك اللَّحظةِ وقعَتْ عيناي على أسطولٍ كاملٍ منَ السُّفنِ الصَّغيرةِ تنزلُ إلَى البحرِ. بخفَّةِ الفراشَاتِ مضَتْ تلكَ السُّفنُ تنزلِقُ مبتعدَةً فوقَ ظلالِها. كلُّهَا مُسيَّرةٌ بطاقَمٍ صَامتٍ: مخلوقَاتٌ صغيرةٌ ذاتُ بياضٍ رماديٍّ متكوِّمةٌ إلى جانبِ بعضِهَا وتحدِّقُ في الأفقِ.

«جماعةُ الهاتيفاتنر،» وضَّحَ هودجكينز.

«الهاتيفاتنر!» همَسْتُ بحماسةٍ. «ينطلقونَ إلى رحلاتِهم الأبديَّةِ...!»

«خُذ حذرَكَ لئلَّا تلمسَهم إذَا كانَتْ هناك عاصفةٌ رعديَّةٌ في الأجواءِ،» نبَّهنِي هودجكينز. «إنَّهَا تجعلُهم كهربائيين. يلسعُونَ مثلَ نباتِ القرَّاصِ.»

«يبدو أنَّهم اعتادُوا أنْ يعيشُوا حياةً طائشةً،» قالَ جوكستر.

«حياةً طائشةً؟» كرَّرْتُ باهتمامٍ. «كيف؟»

«لا أدري على وجهِ التَّحديدِ،» قالَ جوكستر. «يدوسُونَ حدائِقَ النَّاسِ ويشربونَ الجِعةَ وما إلى ذلك، كما أفترضُ.»

جلسْنَا هناك وقتًا طويلًا بعدَ إبحارِ الهاتيفاتنر نحوَ الأفقِ. أَنا بصراحةٍ لم تكنْ بيدي حيلةٌ، إذْ شعرْتُ برغبةٍ جامحةٍ مُبهمَةٍ في الانضمامِ إليهم، ومشاركتهم حياتهم الطَّائشة فترةً منَ الوقتِ، لكنَّنِي لمْ أبحْ بذلِك.

«طيِّب، وماذَا عنِ الغدِ؟» سألَ جوكستر. «أنُبحِرُ؟»

نظرَ هودجكينز إلى أوكسترا المحط. «قد تهبُّ عاصفةً،» قالَ بنبرةٍ فيها شيءٌ من الشَّكِّ.

«لِنقترعَ،» اقترحَ جوكستر. «مدلر! أيمكنُ أن تعيرَنا زرًّا من مجموعتِكَ؟»

قفزَ مدلر خارجَ الماءِ، وبدأَ يفرِغُ جيوبَهُ على صخرةٍ.

«زرٌّ واحدٌ يكفِي يا بن أخِي العزيزَ،» قالَ لهُ هودجكينز.

«اختارُوا يا شباب،» قالَ مدلر بسعادةٍ. «فتحتَين أو أربعَ فتحاتٍ؟ زرًّا منَ العظمِ أو المُخملِ أو الخشبِ أو الزُّجاجِ أو المعدَنِ، أو الصَّدفِ؟ بلونٍ واحدٍ، أو منقَّطٍ، أو مبقَّعٍ، أو مخطَّطٍ أو بمربَّعاتٍ؟ مستديرًا أو محدَّبًا أو مقعَّرًا أو مسطَّحًا أو بثمانيةِ أضلاعٍ أو...»

«نريد زرَّ بنطلونٍ فقط،» قال جوكستر. «ها نحنُ. الوجهُ إلى الأعلى نُبحرُ، أيُّ وجهٍ هو إلى الأعلى؟»

«الفتحات،» بيَّنَ مدلر وهو يلقي نظرةً قريبةً على الزّرِّ في الغسَقِ.

«طيِّب،» قلْتُ، «وماذا بعدُ؟»

في تلكَ اللَّحظةِ اهتزَّ شاربَا مدلر، فاختفَى الزِّرُّ في شقِّ صخرةٍ.

«معذرة،» صاحَ. «خذُوا غيره رجاءً.»

«لا، شكرًا، «قال جوكستر. «المرء لا ينوي الاقتراع إلَّا مرَّةً واحدةً. سنسلِّمُ أمرَنا للقدرِ كي يقرِّرَ لأنَّ النُّعاسَ يراودُنِي.»

لم تكنِ اللَّيلةُ الَّتي تلَتْ على سطحِ أوكسترا المحط لطيفةً كثيرًا.

عندمَا أويْتُ إلى سريري، وجدْتُ أنَّ شراشِفِي في حالَةٍ منَ الفوضَى ودبقةٌ بمادَّةٍ عسليَّةٍ لزجةٍ. مقابضُ البابِ كانَتْ دبقةً أيضًا، وكذلك نعلِي وفرشَاةُ أسنانِي، ولمْ يستطِعْ هودجكينز أنْ يفتَحَ سجلَّ السَّفينةِ مطلقًا.

«يا بنَ أخِي،» بدأَ. «أنْتَ لمْ تنظِّفْ هذهِ الحجراتِ جيِّدًا اليومَ.»

«معذرة!» أجابَ مدلر بنبرةِ لومٍ. «أنا لمْ أنظِّفْها اليومَ مطلقًا!»

«تبغِي كومةً واحدةً مروِّعةً،» انفجرَ جوكستر الذي أحبَّ تدخينَ آخر غليون في الفراشِ.

أخيرًا هدأْنَا، وحاولْنَا التَّكوُّمَ في أكثرِ الأماكنِ جفافًا، لكنْ طوالَ اللَّيلِ أزعجَتْنَا ضجَّةٌ غريبةٌ وقرعٌ بدَا أنَّهما يأتيانِ من قمرَةِ القيادةِ.

صحوْتُ على خبطٍ فظيعٍ ورنينِ جرسِ السَّفينةِ.

«انهضُوا، انهضُوا، الجميعُ إلى السَّطحِ!» صاحَ مدلر خارجَ بابِي. «الماءُ في كلِّ مكانٍ! ماءٌ كثيرٌ جدًّا! لا شيءَ سوى بحر، بحر فقط! وقدْ تركْتُ أفضلَ مجفِّفةِ أقلامٍ لديَّ على الشَّاطئِ! مجفِّفةُ أقلامي الصَّغيرةُ قابعةٌ هناك وحيدةً...»

أسرعْنَا إلى الخارجِ.

كانت أوكسترا المحط تنجرِفُ في البحرِ المفتوحِ، ولا يابسةَ على مرمَى النَّظرِ، وحبلُ المرساةِ متآكلٌ.

«أنا غاضبٌ الآنَ،» قال هودجكينز. «غاضبٌ حقًّا وبشدَّةٍ، غاضِبٌ أكثرُ ممَّا غضبْتُ في أيِّ يومٍ من حياتِي. قضمَ شخصٌ ما حبلَ المرسَاةِ.»

تبادلْنَا نظراتٍ محمَّلةً بلومٍ غيرِ منطوقٍ.

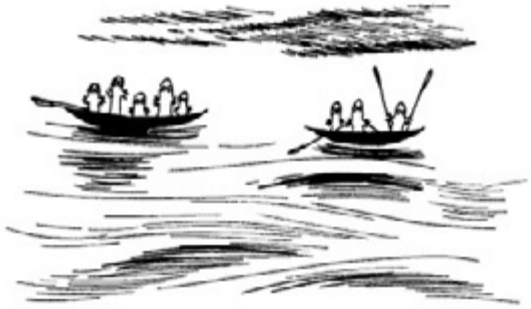

«أنتَ تعرفُ أنَّ أسنانِي ليسَتْ كبيرة كثيرًا،» قلْتُ.

«وأنا معي سكينٌ، ما يعني أنَّهَا لنْ تكونَ نافعةً كثيرًا في قضْمِ الحبلِ، أليسَ كذلِكَ؟» قالَ جوكسْتر.

«لستُ الفاعلَ!» صاحَ مدلر. ونحنُ دائمًا صدَّقْنَا ما يقولُه مدلر، لأَنْ لا أحد سمعَهُ قطُّ يتفوَّهُ بكذبةٍ (ولا حتَّى عن مجموعتِه). أفترضُ أنَّهُ لم يكُنْ صاحبَ

خيالٍ واسعٍ.

في تلكَ اللَّحظةِ سمعْنَا كحَّةً واطِئةً خلْفَنا، وعندَمَا استدرْنَا رأَينَا مُقرمشًا صغيرًا جالسًا تحْتَ خيْمَةِ الشَّمسِ.

«طبعًا،» زمجرَ هودجكينز بوجهٍ متجهِّمٍ. «هذا يفسِّرُ التصاقَ سجل السَّفينةِ. لكنْ لماذَا حبلَ المرسَاةِ؟»

«أنا في مرحلةِ التَّسنينِ،» قالَ المُقرمِشُ الصَّغيرُ بحياءٍ. «لا بدَّ من أنْ أقضمَ شيئًا.»

«لكنْ لماذَا حبلَ المرساةِ؟» كرَّرَ هودجكينز.

«بدا قديمًا وباليًا كثيرًا فظننْتُ أنَّكَ لنْ تمانعَ،» قال المُقرمِشُ الصَّغيرُ.

«لماذا بقيْتَ هُنا عندما رحلَ رفاقُكَ؟» سألْتُه.

«لا أدري،» أجابَ. «ترادُونِي في أغلبِ الأحيانِ أفكارٌ لا أستطيعُ تفسيرَهَا.»

«وأين اختبأْتَ؟» تساءَلَ جوكسْتَر بدهشةٍ.

«في صندوقِ البوصلَةِ المدهِشِ،» أجابَ المُقرمِشُ. (صحيحٌ، كانَتِ البوصلةُ دبقةً للغايةِ أيضًا.)

«يا مُقرمشُ،» خاطبْتُه بقليلٍ منَ القسوةِ. «ماذا ستقولُ أمُّكَ عندمَا تكتشِفُ أنَّكَ قد هربْتَ؟»

«أظنُّ أنَّها ستبكِي،» أجابَ.

4

وهوَ عنْ وصفِ رحلتِي في المحيطِ الَّتي بلغَتْ أوجَهَا خلالَ إعصارٍ مهيبٍ وانتَهتْ بمفاجأةٍ فظيعةٍ.

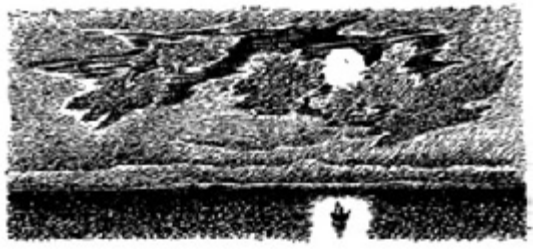

حرثَتْ أوكسترا المحط طريقَها الموحِشَ عبرَ المحيطِ مباشرَةً. يومًا بعدَ يومٍ مضَتْ تتمايلُ فيهِ، وكلُّ يومٍ كاليومِ التَّالي مشمسٌ وناعسٌ وأزرقُ. وقطعانُ أشباحِ البحرِ تتخلَّلُ وجهتَنا، وما بينَ حينٍ وآخرَ تتعقَّبُ آثارَ سفينتِنَا حورياتُ بحرٍ ضاحكاتٌ. وقد أطعمنَاهُنَّ الشُّوفانَ المجروشَ.

أحببْتُ تسلُّمَ دورِي في تسييرِ دفَّةِ القيادَةِ أحيانًا معَ هبوطِ اللَّيلِ. وفي أغلَبِ الأوقاتِ أرَى غليونَ جوكسْتر يتوهَّجُ في الظَّلامِ عندمَا يأتِي ويجلسُ إلى جانِبي.

«عليكَ أنْ تعترِفَ أنَّ الكسلَ ممتعٌ،» قالَ في إحدَى اللَّيالِي، ونفضَ رمادَ غليونِهِ بخبطِهِ علَى السُّورِ.

«مَنِ الكسولُ؟» سألْتُه. «أَنا أقودُ وأنْتَ تدخِّنُ.»

«مهما كان ما تقوله،» ردَّ جوكستر.

«هذهِ مسألةٌ مختلفةٌ تمامًا،» اعترضتُ (لطالَما كنْتُ صاحبَ تفكيرٍ منطقيٍّ). «ولا تقلْ إنَّكَ تشعرُ بدنوِّ نذرِ الشُّؤمِ ثانيةً.»

«لا،» هتفَ جوكستر. «كلُّ شيءٍ سواءٌ عندي أينَما ذهبْنَا. جميعُ الأماكنِ لا بأس بِهَا. تصبحُ على خيرٍ.»

«أراكَ غدًا،» قلْتُ.

عندمَا أراحَنِي هودجكينز منَ مهمّة القيادة في الفجرِ سألْتُه ما إذَا كان يرَى أنَّهُ من الغريبِ أَلَّا يهتمَّ جوكستر كثيرًا بأيِّ شيءٍ عمومًا.

«لا أدري عن هذَا،» أجابَ جوكستر. «ربَّمَا هو مهتمٌّ بمَا يكفي في كلِّ شيءٍ، إنَّما لا يبالغُ. بالنِّسبةِ إلينا هناك دائمًا شيءٌ مهمٌّ جدًّا. عندما كنتَ صغيرًا أردْتَ أن تعرفَ، الآن تريدُ أن تصبحَ. وأنا أريدُ أن أفعلَ. مدلر يحبُّ ممتلكاتِه، المُقرمشُ يهوى ممتلكاتِ غيرِه.»

«وجوكستر يعشقُ القيامَ بأشياءَ ممنوعةٍ عليه،» ذكَّرْتُه.

«صحيحٌ، حتَّى على الرَّغمِ منْ أنَّهَا ليسَتْ مهمَّةً كثيرًا بالنِّسبةِ إليهِ. هو يعيشُ فحسب.»

«أممم،» همهَمْتُ.

تلك أوَّلُ مرَّةٍ يتبسَّطُ فيها هودجكينز بالحديثِ عنْ أيِّ شيءٍ آخرَ ما عدا الأمورِ العمليَّةِ. بيدَ أنَّهُ سرعانَ ما عادَ إلى طبيعتِهِ.

في وقتٍ لاحقٍ منَ اليوم جاءَ مدلر بفكرةٍ أنَّنَا يجبُ أن نرسِلَ برقيَّةً إلى أمِّ المُقرمشِ.

«لا عنوان لدينا، ولا مكتب برقيَّاتٍ،» قالَ هودجكينز.

«أوه، لا، طبعًا،» قالَ مدلر. «هذا غباءٌ منِّي! معذرةً!» ثمَّ اختفَى في صفيحتِهِ ثانيةً. ومعَ أنَّهُ ما زالَ ورديَّ اللَّونِ قليلًا، لاحظْنَا أنَّهُ قدِ احمرَّ خجَلًا.

«ما هو مكتبُ البرقيَّاتِ؟» استفهمَ المُقرمِشُ الذي أصبحَ يشاركُ مدلر صفيحتَهُ. «أيمكنُ أنْ تأكلَهُ؟»

«لا تسأَلْنِي!» أجابَ مدلر. «هو شيءٌ كبيرٌ ومعقَّدٌ. يمكنُكَ فيهِ أنْ ترسِلَ مختلفَ أنواعِ الإشاراتِ الصَّغيرَةِ إلى أماكنَ أخرَى مختلفةٍ... وهناكَ تتحوَّلُ الإشاراتُ إلى كلماتٍ.»

«كيف ترسلُهَا؟» سألَه المُقرمشُ.

«عبرَ الأثيرِ!» أجابَ مدلر وهو يومِئُ برأسِهِ. «ولا إشارة واحدة تضيعُ في الطَّريقِ!»

«ياه!» هتفَ المُقرمشُ.

بعدَ ذلِكَ جلسَ لبقيَّةِ اليومِ برقبةٍ مائلَةٍ ليلتقِطَ بعضَ إشاراتِ البرقيَّاتِ. وهذا هو السَّببُ في أنَّهُ أوَّلُ منْ لمحَ ثلاثَ غيومٍ.

جاءَتِ الغيومُ تخفقُ نحوَنَا متلاصقةً على شكلِ كومةٍ صغيرةٍ خائفةٍ – وخلفَها ظهرَتْ سحابَةٌ سوداءُ بدَتْ عنيفةً وشرِّيرةً.

«هذَا ذئبٌ يطاردُ ثلاثةَ حملانٍ صغيرةٍ،» علَّقَ جوكستر بصوتٍ متكاسلٍ.

«يا للفظاعَةِ! أَلَا يمكنُ أنْ ننقذَهَا؟» صاحَ مدلر. (كانَ مجرَّدَ طفلٍ يصدِّقُ كلَّ مَا يُقالُ لَهُ.)

مع ذلِكَ أرادَ هودجكينز أنْ يسلِّي ابنَ أخيهِ. صنعَ أنشوطَةً بحبلٍ خفيفٍ، وعندَما حلَّقتْ أوّلُ غيمةٍ فوقَنَا قذفَ الحبلَ نحوهَا كأنَّهُ مصيدةٌ. (ما يُظهِرُ مرَّةً أخرَى أنَّ هودجكينز ليسَ دائمًا على طبيعتِه المعهودَةِ.)

تفاجَأْنَا قليلًا عندما طوَّقتِ الأنشوطَةُ الغيمَةَ من وسطِهَا وحملتْهَا!

«حسنًا الآن،» قالَ هودجكينز.

«اسحبْهَا!» صاحَ مدلر. «أنقذِ الحملَ منَ الذِّئبِ! أنقذِ الحملانَ كلَّها!»

وهكذا سحبَ هودجكينز الغيمةَ إلى سطحِ السَّفينةِ، ثمَّ اصطادَ الغيمتَينِ الأُخريين أَيضًا.

واصلَ الذِّئبُ الأسودُ طريقَهُ، على مقربةٍ كبيرَةٍ منَّا، بحيثُ إِنَّهُ تمسَّحَ بالمقبضِ المذهَّبِ للسفينةِ البيتِ.

أمامَنا استقرَّتِ الغيومُ الثَّلاثةُ بأمانٍ. وحجبَتْ تقريبًا المساحةَ الشَّاغرةَ علَى السَّطحِ. وعن قربٍ لمْ نرَ أنَّ شكلَهَا يختلفُ كثيرًا عَنِ القشدَةِ المخفوقَةِ.

مضغَ المُقرمِشُ إحداهَا قليلًا، وَقالَ إنَّ مذاقَها يشبهُ مذاقَ ممحاةِ قلمِ الرَّصاصِ في البيتِ.

غطَّتِ الغيومُ صفيحَةَ مدلر بأكملِهَا، وهذا أقلقَهُ. وهودجكينز شعرَ بالقلقِ أيضًا. لا قبطان يحبِّذُ وجودَ أشياءَ غيرِ ضروريَّةٍ على سطحِ سفينتِهِ، بل حتَّى عانَى من صعوبةِ التَّوجُّهِ إلى الخلْفِ نحوَ قمرةِ القيادَةِ. غرِقَ إلى أذنَيهِ معَ كلِّ خطوةٍ.

جوكستر وحدُهُ سُرَّ بذلِكَ.

«كمَّاداتٌ مضغوطَةٌ،» قالَ وزحفَ إلى إحدَاهَا لينامَ عليهَا.

حاولْنَا دفْعَ الغيومِ إلَى عنبرِ السَّفينةِ. لكنْ كلَّمَا ثبَّتْنَا إحدَاهَا في زاويةٍ تمدَّدَتْ أخرَى غيرها. وهكذَا اضطرَرْنَا إلى الاستسلَامِ.

(بعدَ ذلِكَ تساءَلْنَا لماذَا لمْ نفكِّرْ في دفعِهَا خارجَ السَّفينةِ! لكنْ مِنْ حسنِ الحظِّ أنَّنَا لمْ نفعلْ!)

بعدَ العصرِ، مباشرةً قبْلَ الغروبِ، تغيَّرَ لونُ السَّماءِ إلى أصفرَ غريبٍ. لمْ يكُنْ لونًا لطيفًا، بلْ كانَ قذِرًا وذا صفرةٍ مستهجَنةٍ. وفي الأفقِ ظهرَ شريطٌ ضيِّقٌ منْ سحبٍ سوداءَ عابسةٍ.

«القبيلةُ بأسرِهَا خرجَتْ تتصيَّدُ،» أشارَ جوكسْتر.

كنَّا جالسينَ تحْتَ خيمةِ الشَّمسِ. نجحَ مدلر والمُقرمشُ في انتشالِ صفيحتِهِمَا، وحملاهَا إلى مؤخِّرِ السَّفينةِ الَّتي بقيَتْ خاليةً مِنَ الغيومِ.

تغيَّرَ لونُ البحرِ المتمايلُ إِلَى رماديٍّ وأسودَ، وبهتَتِ الشَّمسُ. صفَّرتِ الرِّيحُ بقلَقٍ في أسلاكِ الصَّارياتِ، واختفَتْ أشباحُ البحرِ وحوريَّاتُه عن بكرةِ أبيهَا. شعرْنَا بشيءٍ منَ الرَّهبَةِ من ذلِكَ كلِّهِ.

«مومين،» خاطبَنِي هودجكينز. «ماذا يقولُ البارومتر؟»

زحفْتُ إلى الأمامِ فوقَ الغيومِ، وتسلَّقْتُ الدَّرجَ إلى قمرةِ القيادَةِ. حملقْتُ في البارومتر؛ أشارَ عقربُهُ إلى خمسٍ وعشرينَ درجةً؛ واضحٌ أنَّه حاولَ النُّزولَ أكثرَ لكنَّهُ علقَ في مكانِهِ.

بدا لي أنَّ وجهِي تشنَّجَ من القلَقِ، وفكَّرْتُ: «وجهي يمتقعُ - كما يقرأُ المرءُ في الكتبِ بالضَّبطِ.» نظرْتُ في المرآةِ. صحيحٌ تمامًا. كنْتُ باهتَ اللَّونِ مثلَ القطنِ، أو الطَّباشيرِ، أو مثلَ قدمَي مومين غُسلَتَا مؤخَّرًا. كانَ ذلك مُشوِّشًا.

هرعْتُ عائدًا وقلْتُ: «أتلاحظُونَ شحوبَ الاحتضارِ عليَّ؟»

«لا،» أجابَ جوكستر. «وجهُكَ أحمرُ نوعًا مَا.»

«حسنًا، ماذَا رأيْتَ؟» سألَنِي هودجكينز.

«لقدِ انخفضَ ثانيةً،» قلْتُ بشيءٍ منَ الانزعاجِ. «خمسةٌ وعشرونَ.»

لمْ يشحبْ وجهُ هودجكينز، بلْ قالَ في الحالِ بصوتٍ ثابتٍ:

«جوكسترا! اطوِ الشِّراعَ. مومين أحكِمْ تثبيتَ الأسلاكِ والملاءَاتِ والحبالِ والفتحاتِ والمقابضِ والحزمِ وكلِّ ما يمكنُ أنْ تضعَ يديكَ عليهِ! على مدلر والمُقرمشُ أنْ يبقيَا في صفيحتِهما، ويغلِقَا الغطاءَ. نحنُ مُقبلون على إعصارٍ.»

«حاضِر، حاضِر يا معلمُ!» صحْنَا كلُّنا، وبنظرةٍ ثابتةٍ ورجوليَّةٍ على البحرِ الَّذي أصبحَ أُرجوانيًّا تحتَ السَّماءِ الصَّفراءِ، مضيْنَا ننجزُ واجباتِنَا المهمَّةِ.

خلال لحظةٍ أصبحَ الإعصارُ فوقَنَا، حدثَ هذَا بطريقةٍ جدُّ مفاجئةٍ، بحيثُ إنَّ مقدِّمةَ أوكسترا المحط غاصَتْ، وكادَتْ تقفُ رأسًا على عقبٍ لفترَةٍ.

لمْ يتسنَّ لِي الوقتُ لأُنزِلَ خيمةَ الشَّمس، فاقتُلِعَتْ من مكانِهَا مثلَ ورقةِ شجرٍ، ورفرَفتْ فوقَ البحرِ. (كانَتْ خيمةً جيِّدةً. آملُ أنْ يكونَ قدْ عثرَ عليهَا أحدٌ وتمتَّعَ بهَا.)

«شغِّلِ المحرِّكَ!» زعقَ هودجكينز وسطَ الإعصارِ. بيدَ أنَّ البابَ كانَ تحتَ الغيومِ، وأفترضُ أنَّ التّروسَ آنذاك لم تعد صالحةً للعملِ بأيِّ حالٍ، ففي الآونةِ الأخيرةِ بدَا المحرِّكُ متقلِّبَ المزاجِ كثيرًا.

حُشِرَتْ صفيحةُ مدلر والتصقَتْ أسفلَ السُّورِ، وكلَّمَا غاصَتْ أوكسترا المحط أو رفعَتْهَا قمَّةُ موجةٍ قعْقعَتْ في الصَّفيحةِ الأزرارُ والحمَّالاتُ وفتَّاحاتُ العلبِ واللَّآلئُ الزُّجاجيَّةُ، مصدرةً جلبةً فظيعةً. صاحَ مدلر مُعلنًا أنَّه يشعرُ بالغثيانِ، لكنَّنَا عدمْنَا أيَّ وسيلةٍ لمساعدَتِهِ. نجحْنَا فقط في التَّشبُّثِ بالمقابضِ ونحنُ نحدِّقُ في المحيطِ المعتمِ.

اختفَتِ الشَّمسُ، اختفَى الأفقُ، أصبحْنَا وسطَ فوضَى سوداءَ مخيفةٍ مع رذاذِ رغوةٍ بيضاءَ تتطايرُ مارَّةً بنَا من شتَّى الأنحاءِ مثلَ أشباحٍ مهسهسَةٍ.

تشبَّثَ هودجكينز بثباتٍ بالدَّفَّةِ، وأنا وجوكستر تشبَّثْنَا ببعضِنَا. حاولَ جوكستر أنْ يصيحَ بكلامٍ مَا، لكنَّنِي لم أسمعْ شيئًا ما عدَا زئيرَ الرِّيحِ. أشارَ إلى الأمامِ.

نظرْتُ ورأيْتُ بالونًا ضخمًا منفوخًا يدفعُنا إلى الأمامِ بسرعةٍ هائلةٍ. ذاكَ لمْ يكنْ شراعَنَا - كانَ إحدى غيومِنَا.

«تلك نهايةُ كلِّ شيءٍ،» فكَّرْتُ بذهنٍ مشوَّشٍ.

ثمَّ تحرَّكَتِ الغيمةُ الثَّانيةُ. توسَّعَتْ، وفي غضونِ ثانيةٍ نفخَتْ فيها العاصفَةُ ومدَّدَتْهَا إلى ما يشبهُ الشِّراعَ العظيمَ.

لكنَّها لمْ تنفجرْ. تكوَّرَتْ مثلَ أيِّ بالونٍ مطاطيٍّ، واندفعَتْ أوكسترا المحط إلى الأمامِ وهيَ تهتزُّ وتصرُّ من جميعِ مفصلاتِهَا. وهكذَا أصبحْنَا نسرعُ قدمًا بسرعةِ العاصفةِ نفسِهَا.

ثمَّ طارَتِ الغيمةُ الثَّالثةُ، وحملَتِ السَّفينةَ البيتَ خارجَ الماءِ تقريبًا. كطائرِ القطرسِ، كالهولنديِّ الطَّائرِ، ومثل سفينةِ أشباحٍ مومينيَّةٍ أبحرْنَا إلى الأمامِ.

بدا ذلك شبيهًا بحلمٍ أو بدوَّامَةِ خيلٍ هائلةِ الحجمِ. فارقَنِي خوفِي، ورتَّلْتُ أنشودةَ نصرٍ عن مومين لا يُقهرُ.

أخيرًا، عندما بدأَ الظَّلامُ يتحوَّلُ إلى صباحٍ رماديٍّ، أدركْتُ أنَّني أشعرُ ببردٍ شديدٍ، وأنَّ جوكستر متمسِّكٌ بذيلِي بقوَّةٍ جدُّ مؤلمةٍ.

زئيرُ الإعصارِ المتوحِّشِ تدنَّى إلى صفيرٍ معتدلٍ، وحركةُ أوكسترا المحط نبأَتْنِي أنَّهَا عادَتْ إلى الماءِ مجدَّدًا. عادَتْ غيمتانِ من غيومِنَا الثَّلاثةِ، وانطوتَا على نفسَيهما، وصارَ في وسعي سماعُ الأزرارِ تقعقعُ في صفيحةِ مدلر.

كان نهارٌ آخرُ يطلعُ.

حرَّكْتُ بحذرٍ إحدَى ساقَيَّ ثمَّ الأخرَى؛ كانتَا بخيرٍ وسلامٍ، ثمَّ طلبْتُ من جوكستر بأدبٍ أنْ يفلِتَ ذيلِي.

«أوه، هذَا ذيلُكَ،» قالَ. «ظننْتُ طوالَ الوقتِ أنَّه دعامةُ السَّاريةِ الخلفيَّةِ.»

بدأَ ضوءٌ باهتٌ ينتشرُ فوقَ البحرِ، وكشفَ حالةَ أوكسترا المحط المزريةَ؛ السَّاريةُ تكسَّرَتْ، المجاديفُ اختفَتْ، بيتِي الجميلُ تهدَّمَ بشكلٍ سيِّئٍ، وكذلِكَ معظمُ زخرفةِ سورِ الشُّرفةِ، وأسوأُ منْ ذلِكَ كلِّهِ، فُقِدَ المقبضُ المذهبُ من قمّة السفينة البيت.

الدَّعاماتُ المحطَّمةُ ترنَّحتْ معَ الرِّيحِ بطريقةٍ محزنَةٍ، والأسوارُ تهشَّمَتْ من عدَّةِ أماكنَ. ولكنْ بينَها استقرَّتْ غيومُنَا؛ بيضاءَ ومستديرةً، كالسَّابقِ بالضَّبطِ.

«يا طاقمَ السَّفينةِ العزيزَ،» خاطَبَنَا هودجكينز بجدِّيَّةٍ. «لقدِ اجتزْنَا الإعصارَ. أَخرِجُوا ابنَ أخِي رجاءً!»

نزعْنَا الغطاءَ، وظهرَ مدلر بوجهٍ أخضرَ مثيرٍ للشفقَةِ.

«بحقِّ زرِّ الأزرارِ،» غمغَمَ بصوتٍ متعبٍ. «أي ذنبٍ اقترفت لأصابَ بهذَا الغثيانِ الرَّهيبِ؟ أوه، يا لَهَا من حياةٍ، يا لَهَا من متاعبَ، يا لَهَا من مشاكِلَ! انظرُوا إلى مجموعَتِي!»

خرجَ المُقرمِشُ أيضًا، تشمَّمَ الرِّيحَ ونخرَ. ثمَّ قالَ: «أنَا جائعٌ!»

«من بعدِ إذنِكَ،» صاحَ مدلر. «مجرَّدُ التَّفكيرِ في الطَّعامِ يجعلُنِي...»

«لا بأس، لا بأس،» قالَ هودجكينز بلطفٍ. «لعلَّ مومين يذهبُ ويسخِّنُ حساءَ البازلَّاءِ، فأنَا أحتاجُ إلى التَّفكيرِ... لقدْ طارَتْ أوكسترا المحط اللَّيلةَ تقريبًا، وقد راودَتْنِي فكرةٌ كمَا ترون؛ المركبُ البيتُ الطَّائرُ...»

وبينما انهمَكَ هودجكينز في حساباتِهِ، سلكْتُ طريقِي على سطحِ السَّفينةِ بحذرٍ.

كانَ محجوبًا بأعشابِ البحرِ، ومخلَّفاتِ المُقرمشينَ اللَّزجةِ، والمحارِ، وبضعةِ أشباحِ بحرٍ كليلة. وفي تلكَ اللَّحظةِ بزغَتِ الشَّمس.

أوه، أيُّ بهجةٍ! وقفْتُ خارجَ بابِ مطبخِ السَّفينةِ، ومنحْتُ الدِّفءَ فرصةً ليتغلغلَ فيَّ. تذكَّرْتُ شروقَ الشَّمس في يومِ حرِّيَّتي الأوَّلِ بعدَ ليلةِ هروبِي. لقدْ أحببْتُ الشَّمس!

نسيتُ كلَّ شيءٍ عن حساءِ البازلَّاءِ، وأغمضْتُ عيني حيثُ وقفْتُ. اخترقَ الشُّعورُ الرَّائعُ جسمِي من رأسِي إلى ذَيلِي، وفكَّرْتُ أنَّهُ لا بأس بالإعصارِ طالَمَا يمكنُ الحصولُ على أشعَّةِ الشَّمس بعدَهُ.

ثمَّ، عندَما فتحْتُ عينِي ثانيةً اكتشفْتُ شيئًا تُجاهَ اليمينِ؛ يابسةً! ويابسة أمامَنا أيضًا. حدودٌ ناعمةٌ من جبالٍ غريبةِ الشَّكلِ!

وقفْتُ على رأسِي من شدَّةِ السَّعادةِ وصحْتُ:

«وصلْنَا! يابسة! يا هودجكينز!»

فجأةً سرَى فينَا كلِّنا النَّشاطُ.

غثيانُ مدلر اختفَى في الحالِ، وبدأَ يعيدُ ترتيبَ صفيحتِهِ. صلَّحَ جوكستر المحرِّكَ المساعدَ. والمُقرمِشُ مضغَ ذيلَهُ بدافعِ العصبيَّةِ الخالصَةِ، وأوكلَ لي هودجكينز مهمَّةَ تلميعِ النُّحاسِ.

ازدادَ اقترابُ الشَّاطئِ المجهولِ. بدَا أنَّ هناك جبلًا شاهقًا فيهِ وعلَى قمَّتهِ برجٌ.

«ما ذاك بحقِّ السَّماءِ؟» هتفَ جوكستر.

«انظرْ، إنَّهُ يتحرَّكُ،» قلْتُ.

لكنَّنَا كنَّا أكثرَ انشغالًا من أنْ نقلقَ بشأنِهِ.

فقط عندما انزلقَتْ أوكسترا المحط إلى المرفَأ، تجمَّعْنَا عندَ السُّورِ، بعدَ أنْ مشَّطْنَا شعرَنَا ونظَّفْنَا أسنانَنَا وذيولَنَا.

عندئذٍ سمعْنَا صوتًا يرعدُ عاليًا فوقَ رؤوسِنا:

«هــــــا!» هدرَ الصَّوتُ. «فلتأخذنِي الغروكُ إِذَا لمْ يكُنْ هذَا هودجكينز وطاقمَهُ المهبولَ! لقدْ نلْتُ منكَمُ الآنَ!»

كان ذاك إدوارد منفوخَ المؤخِّرةِ. ولا يمكنُ أنْ يتخيَّلَ أحدٌ كمْ كانَ غاضِبًا.

✽ ✽ ✽

«هكذا كانَتْ حياتِي في شبابِي!» قالَ بابا مومين وهو يغلقُ مخطوطته.

«تابعْ قراءةَ المزيدِ رجاءً،» هتفَ مومين ترول. «ماذَا حدثَ بعدَ ذلِكَ؟ ماذا فعلَ بكم المنفوخُ؟»

«في المرَّةِ القادمَةِ يا ولدي،» قالَ بابا مومين بإيحاءٍ غامضٍ. «كانَ ذاك مثيرًا، هَا؟ لكنْ كمَا ترونَ، إنَّهَا خدعةٌ يستخدمُهَا جميعُ المؤلِّفينَ البارعِينَ، أنْ ينهوا فصلًا في أشدِّ اللَّحظاتِ إثارةً.»

في هذهِ المرَّةِ جلسَ بابا مومين عندَ الشَّاطئِ الرَّمليِّ مع ابنهِ، وسنفكين وسنيف عندَ قدميهِ.

وبينما قرأَ لهم عنِ العاصفَةِ الرَّهيبةِ حدَّقُوا في البحرِ، وتخيَّلُوا أوكسترا المحط تناضِلُ مثلَ سفينةِ أشباحٍ، يقودُهَا آباؤُهم البواسلُ، عبرَ رغوةِ الإعصارِ بلونِهَا الأرجوانيِّ الباهتِ.

«لا بدَّ من أنَّهُ عانَى من غثيانٍ رهيبٍ في صفيحتِهِ،» غمغمَ سنيف.

«الجوُّ باردٌ هُنَا،» قالَ بابا مومين. هل نتمشَّى؟»

مشَوا على أعشابِ البحرِ الجافَّةِ إلى رأسِ الشَّاطئِ.

«أيمكنُكَ أنْ تقلِّدَ صوتَ المُقرمِشِ؟» سألَهُ سنفكين.

حاولْ بابا مومين. «لا...ا...ا،» قَالَ. «غيرُ جيِّدٍ. يجبُ أنْ يأتِيَ وقعُهُ كما لو أنَّه منْ داخِلِ أنبوبِ صفيحٍ.»

«ليس شديدَ الاختلافِ كثيرًا،» قالَ مومين ترول. «بابا، ألمْ تذهبْ في وقتٍ لاحقٍ مع جماعةِ الهاتيفاتنر؟»

«حسنًا، «أجابَ بابا مومين بصوتٍ محرجٍ. «لعلِّي فعلْتُ، لكنْ هذا جرَى بعدَ وقتٍ طويلٍ. أفترِضُ أنَّ ذكرَهُ لنْ يرِدَ في الكتابِ أبدًا.»

«لماذَا؟» هتفَ سنيف. «هل عشْتَ معهم حياةً طائشةً؟»

«اسكتْ،» نهرَهُ مومين ترول.

«فاصلةٌ، فاصلةٌ، فاصلة،» قالَ بابا مومين. «لكنَّها لم تكنْ طائشةً كثيرًا. انظرُوا، هناك شيءٌ يعومُ في الماءِ. اركضُوا وانظرُوا ما هوَ!»

ركضُوا.

«ما يمكنُ أن يكونَ؟» تساءلَ سنفكين.

كانَ شيئًا ثقيلًا وعلى شكلِ بصلَةٍ. بدا أنَّهُ عامَ في الماءِ زمنًا طويلًا جدًّا، لأنَّ الأعشابَ الضَّارَّةَ والرَّخويَّاتِ تغطِّيهِ. الخشبُ متكسِّرٌ، وفي عدَّةِ مواضعَ ظهرَتْ بقايا طلاءٍ ذهبيٍّ. حملَ بابا مومين البصلَةَ الخشبيَّةَ بيديهِ الاثنتينِ وتفحَّصهَا بعنايةٍ. وسرعانَ ما بدأَتْ عينَاهُ تتَّسعانِ أكثرَ فأكثرَ، وأخيرًا حجبهمَا بكفِّه وتنهَّدَ.

«يا أطفالُ،» خاطبهم بنبرةٍ وقورةٍ ومرتعشةٍ قليلًا. «ما ترونَ هُنا هو مقبضُ سطحِ البيتِ في سفينةِ أوكسترا المحط!»

«أوه،» هتفَ مومين ترول بإجلالٍ عظيمٍ.

«والآن،» تابَع بابا مومين، وقدْ هيمَنَتْ عليه ذكرياتُهُ، «الآنَ سأبدأُ في كتابةِ فصلٍ جديدٍ، وأتفكَّرُ مليًّا في هذا الاكتشافِ الفريدِ وأنا مُختَلٍ بنفسِي. هيَّا اذهبُوا والعبُوا في الكهفِ!»

مشَى بابا مومين بخطواتٍ نابضةٍ بالحركةِ. حملَ المقبضَ تحتَ إحدِى ذراعَيهِ والمذكَّراتِ تحتَ الذِّراعِ الأخرَى.

«كنتُ حقًّا مومين قويًّا في أيَّامِي!» قالَ لنفسِهِ.

«وما زلْتُ قويًّا،» أضافَ وهو يخبطُ الأرضَ بقدمِهِ، ووجهُهُ يشعُّ بابتسامةٍ مفعمةٍ بالسَّعادةِ.

5

وفيهِ (إلى جانبِ عرضِ نموذجٍ من قدراتِي الذِّهنيَّةِ) أَصِفُ عائلةَ الميمبل وحفلةَ المفاجآتِ الَّتي جلبَتْ لِي بعضَ تذكاراتِ الشَّرفِ البديعةِ من يدِ الحاكمِ المطلقِ.

لعلَّكُم لاحظْتُم الطَّريقةَ الاستثنائيَّةَ الَّتي يعملُ بها ذهنِي؟ تطرأُ في رأسِي تكَّةٌ مفاجئةٌ بكلِّ بساطةٍ! ثمَّ يُنقَذُ الموقفُ، كما حدثَ هنَا على سبيلِ المثالِ.

ها هو المنفوخُ أمامَنا، يزمجرُ ويصوِّتُ ويزعقُ علينا، وها نحنُ أمامَه، نبدُو كالحمقَى، ثمَّ أقولُ (بهدوءٍ مطلقٍ): «مرحبًا يا عمَّنَا! تسرُّني رؤيتُكَ ثانيةً!» وطبعًا هذا لم يوقفْهُ عنِ العجيجِ، لكنَّني لمْ أهتمَّ قطعًا، وانبريْتُ أسألُهُ إنْ كانَتْ قدماه ما زالتا تؤلمَانِهِ.

«لديكَ الجرأةُ لتسألَني هذا السُّؤالَ!» يهدرُ إدوارد المنفوخُ. «أنتَ يا برغوثَ الماءِ! أنتَ يا كابوس! نعم قدماي تؤلمَانِي! نعم مؤخِّرتِي تؤلمُني أيضًا!»

«حسنًا، في هذهِ الحالةِ،» أجيبُ بصوتٍ تحكَّمْتُ فيهِ جيّدًا، «في هذهِ الحالةِ ستناسبُكَ الهديَّةُ الَّتي أحضرنَاهَا لكَ كثيرًا؛ ثلاثةُ أكياسِ نومٍ منْ ريشِ النّعام الأصليِّ!»

(ذكاءٌ منِّي، أليسَ كذلِك؟)

«أكياسُ نومٍ؟ ريشُ النّعامِ؟» كرَّرَ إدوارد المنفوخُ بصوتٍ مرتابٍ، وبحذرٍ تحسَّسَ غيومَنا بإحدى قدمَيه. «أنتمْ تخدعونَنِي مجدَّدًا، ألستُمْ كذلِك، يا خرقَ الصُّحونِ؟ أفترضُ أنَّها محشوَّةٌ بالصُّخورِ...»

رفعَ الغيومَ الثَّلاثَةَ إلى رصيفِ المرفأ وتشمَّمها.

«اجلسْ، إدوارد، رجاءً!» صاحَ هودجكينز. «لطيفةٌ وناعمةٌ!»

«سبقَ أنْ سمعْتُ هذَا،» دمدمَ المنفوخُ. «قاعٌ رمليٌّ ناعمٌ ولطيفٌ، هذا ما قلْتَه لِي. وما كانَ ذاكَ؟ أشدَّ الأماكنِ صلابةً، وأكثرَها عقدًا وحجارةً وأعظمَها إزعاجًا...»

ثمَّ غاصَ إدوارد المنفوخُ باحتراسٍ في الغيومِ.

«وإذًا؟» صحْنَا مفعمِينَ بالأملِ.

«كرمفمفف،» دمدمَ إدوارد بمرارةٍ. «يبدُو حقًّا أنَّ هناكَ بعضَ البقعِ اللَّينةِ. سأجلسُ هنَا وأفكِّرُ لفترةٍ إلى أنْ أقرِّرَ ماذا أفعلُ بكم.»

طبعًا لمْ نبالِ بالانتظارِ، بسرعةٍ عظيمةٍ تجاوزْنَا المرفأَ، وتسلَّلْنا من وراءِ المنفوخِ، ثمَّ أسلمْنَا سيقانَنَا للريحِ.

«أحسنْتَ التَّصرُّفَ،» أثنَى عليَّ جوكستر.

«مجرَّدُ فكرةٍ راودَتْني،» أجبتُ بتواضعٍ.

«أعرفُ،» قالَ هودجكينز. «يبدو أننا في منطقةٍ خاليةٍ.»

منْ حولِنا أينمَا نظرْنَا ارتفعَتْ تلالٌ خضراءُ مستديرةٌ، معَ أشجارٍ كبيرةٍ وحيدةٍ محمَّلةٍ بعناقيدَ منَ التُّوتِ الأخضرِ والأصفرِ. لمحْنَا بضعةَ أكواخٍ منَ القشِّ متراكمةً قربَ بعضِهَا في الوديانِ ضمْنَ أسوارٍ حجريَّةٍ واطئةٍ تمتدُّ فوقَ سفوحِ التِّلالِ.

لكنَّ كلَّ شيءٍ كان ساكنًا. لا أثر لأيِّ حشدٍ متحمِّسٍ يأتينَا جريًا ليتفرَّجَ على أوكسترا المحط وعلينَا، وليستفسرَ منَّا عن كلِّ ما يتعلَّقُ بالإعصارِ.

«لعلَّ إدوارد المنفوخَ أفزعَهم فولَّوا الأدبارَ،» تمتمْتُ بشيءٍ من خيبةِ الأملِ.

ارتقيْنَا أقربَ تلٍّ.

«هناك بيتٌ،» هتفَ جوكستر. «أودُّ أنْ أكتشفَ هل البابُ موصدٌ.»

كانَ كوخًا صغيرًا من بقايا الألواحِ وأوراقِ الأشجارِ اليابسةِ وغيرَ متينِ البناءِ.

قرعْنَا البابَ أربعَ مرَّاتٍ ولمْ يفتَحْ أحدٌ.

«يا هووه،» صاحَ هودجكينز. «أيُّ شخصٍ في البيتِ؟»

ثمَّ سمعْنَا صوتًا صغيرًا يجيبُ: «لا، لا، لا يوجد أحدٌ أبدًا!»

«هذَا مضحكٌ،» قلْتُ، «مَنِ الَّذي يتكلَّمُ إذًا؟»

«أنا بنتُ الميمبل الصَّغيرةُ،» قالَ الصَّوتُ. «لكنْ عليكُم أنْ ترحلُوا بسرعةٍ، لأنَّهُ غيرُ مسموحٍ لي أنْ أفتحَ البابَ لأيِّ مخلوقٍ قبلَ أنْ تعودَ أمِّي.»

«وأينَ هي أمُّكِ؟» سألَها هودجكينز.

«ذهبَتْ إلى حفلةِ الحديقةِ،» أجابَ الصَّوتُ بنبرةٍ حزينةٍ.

«إيه، ولماذَا لمْ تصحبْكِ معهَا؟» سألَها مدلر بصوتٍ مصدومٍ. «أأنتِ صغيرةٌ جدًّا؟»

عندئذٍ بدأَتْ بنتُ الميمبل تبكِي وتقولُ: «أعانِي من التهابِ حنجرةٍ اليومَ! ماما رأَتْ أنَّها قد تكونُ دفتيريا!»

«هلَّا فتحْتِ البابَ؟» خاطبَها هودجكينز بلطفٍ. «سنلقِي نظرةً على حنجرتِكِ، لا تخافِي منَّا.»

فتحَتْ بنتُ الميمبل البابَ، وحولَ رقبتِهَا وشاحٌ صوفيٌّ سميكٌ، وعينَاها شديدتَا الاحمرارِ.

«لِنَرَ الآنَ،» قالَ هودجكينز. «افتحِي فمَكِ رجاءً. أوسع، رجاءً. قولِي آ آ آ آه!!»

«أو حمَّى تيفوئيد، أو كوليرا، ظنَّت أمِّي،» قالَتْ بنتُ الميمبل بوهنٍ. «آ آ آ آه!»

«ولا أيُّ بقعةٍ ملتهبةٍ،» غمغمَ هودجكينز. «بلْ حتَّى لا انتفاخَ في الحنجرةِ. هل تؤلمُكِ؟»

«بشدَّةٍ،» همهمَتْ بنتُ الميمبل. «أظنُّ أنَّ حنجرَتِي تتضخَّمُ، وبالتَّالِي لنْ أكونَ قادرةً على التَّنفُّسِ بتاتًا، أوِ التَّكلُّم، أو حتَّى الأكل.»

«يجبُ أنْ تخلُدِي إلى الفراشِ في الحالِ،» قالَ هودجكينز. سنجدُ لكِ أمَّكِ فورًا!»

«لا، لا، رجاءً لا،» ناحَتْ بنتُ الميمبل. «هذهِ مجرَّدُ أكذوبةٍ؛ أنا لسْتُ مريضةً مطلقًا. تركتْنِي أمِّي في البيتِ لأنَّني كنْتُ مشاغبةً.»

«أكذوبةٌ؟ من أجلِ ماذَا؟» سألَها هودجكينز بدهشةٍ.

«بسببِ حصولِي على القليلِ منَ المرحِ!» أجابَتْ وبدأَتْ تبكِي مرَّةً أخرَى. «ليسَ لديَّ أيُّ شيءٍ يسلِّيني في هذهِ الدُّنيا!»

«ألَا يمكنُ أنْ نأخذَها معنَا إلى حفلةِ الحديقةِ؟» اقترحَ جوكستر.

«قدْ لا يروقُ هذَا لِلميمبل،» قلْتُ.

«بلَى سيروقُها طبعًا،» قالَتْ بنتُ الميمبل بسعادةٍ. «ستكونُ في غايةِ السُّرورِ، لأنَّني متأكِّدةٌ من أنَّها الآنَ قد نسيَتْ كلَّ شيءٍ.»

«أيمكنُكِ أنْ تدلِّينَا على الطَّريقِ؟ إلى الحفلةِ؟» سألَها هودجكينز.

«طبعًا يمكنُني!» قالَتْ بنتُ الميمبل ونزعَتْ وشاحَها الصُّوفيَّ. «لكنْ علينَا أنْ نسرعَ، وإلَّا سيخيبُ أملُ الملكِ. لا شكَّ في أنَّ المفاجآتِ قدْ بدأَتْ منذُ وقتٍ طويلٍ.»

«أهوَ ملكٌ حقيقيٌّ؟» سألْتُها بنبرة إجلالٍ ونحنُ نمضِي مهرولينَ على التِّلالِ.

«ملكٌ حقيقيٌّ؟» هتفَتْ بنتُ الميمبل. «هو حاكمٌ مطلقٌ وأعظمُ ملكٍ حيٍّ، لكنَّهُ يسمحُ لنَا أنْ ندعوَه بابا جونز لنشعرَ بمزيدٍ منَ الارتياحِ ونحنُ معَه.»

«سأدعُوه فخامةَ الحاكمِ المطلقِ،» قلْتُ بجدِّيَّةٍ بالغةٍ. «تخيَّلُوا فقط أنْ نصافِحَ ملكًا حقيقيًّا! هذهِ مكافآتِي على انتمائِي الملكيِّ الأصيلِ والصَّادقِ!»

«ما سببُ وجودِ هذهِ الأسوارِ الحجريَّةِ؟» تساءَلَ جوكستر. «أتريدونَ منعَ النَّاسِ منَ الدُّخولِ أو منعَهم منَ الخروجِ؟»

«لا،» أجابَتْ بنتُ الميمبل. «نحنُ لا نستخدمُها لأيِّ شيءٍ خاصٍّ. نحنُ فقط نحبُّ تشييدَها. شقيقُ أمِّي شيَّدَ سورًا يبلغ مداه تسعةَ عشرَ ميلًا. و.. أتدرونَ ما يفعلُ غيرَ هذَا؟ إنَّه يدرسُ الحروفَ كلَّها والكلماتِ من اتجاهاتِها كافَّةً.

يحبُ أنْ يمشيَ حولَها إلى أنْ يصبحَ متأكّدًا تمامًا من استيعابِهَا. يستغرقُ منهُ حفظُ الكلماتِ الأطولِ من غيرِهَا ساعاتٍ وساعاتٍ!»

«مثل طبالأنفوالأذنوالحنجرة،» قالَ جوكستر.

«أو كالوسبينترأوتشروماتوكرين،» قلْتُ.

«أوه،» هتفَتْ بنتُ الميمبل. «إذا كانَتْ بهذَا الطُّولِ يحتاجُ إلى التَّخييمِ قربَها طوالَ اللَّيلِ. اعتادَ أنْ ينامَ على الأرضِ بلَا شيءٍ سوى لحيتِهِ الحمراءِ الطَّويلةِ. يتَّخذُ نصفَها غطاءً ونصفَها الثَّاني فِراشًا. في النَّهارِ يحتفظُ بفأرَينِ صغيرَينِ أبيضَينِ فيهَا. فأرَانِ لطيفَانِ كثيرًا بحيثُ إنَّهما لا يضطرانِ إلَى دفعِ أيِّ إيجارِ سكنٍ.»

«هذا أعجبُ منَ العجبِ،» علَّق هودجكينز. «ألديكِ أيُّ إخوةٍ وأخواتٍ؟»

«الكثيرُ والكثيرُ، لا أحدَ في وسعِهِ أنْ يعدَّهم، وهم يأتونَ بسرعةٍ كبيرةٍ. انظرُوا، ها قد وصلْنَا. عِدونِي أنْ تخبرُوا أمِّي أنَّكم جعلتمُوني آتي إلى هنا لأدلَّكُم على الطَّريقِ!»

«بالتَّأكيدِ،» وعدَها هودجكينز. «ما شكلُها؟»

«هي مستديرةٌ. كلُّ شيءٍ فيها مستديرٌ.»

وجدْنَا أنفسَنَا نقفُ أمامَ بوابةٍ ذاتِ سورٍ عالٍ جدًّا مكلَّلٍ بالزُّهورِ. والبوابةُ عليهَا لافتةٌ ضخمةٌ تقولُ:

حفلةٌ حديقةِ بابا جونز

مجَّانًا للجميعِ!

ادخلُوا، ادخلُوا رجاءً!

حفلةٌ مفاجآتِ السَّنةِ - مميَّزةٌ كثيرًا!

(بسببِ الذِّكرى المئةِ على ولادتِنا)

لا تخافُوا

إذا حدثَ أيُّ شيءٍ!!!

«ما الَّذي قدْ يحدثُ؟» استفهمَ المُقرمشُ.

«أيُّ شيءٍ،» أجابَتْ بنتُ الميمبل. «هذا هوَ المسلِّي فيهَا. سترَى!»

دخلْنَا الحديقةَ، وتلفَّتْنَا ننظرُ حوالينا.

كانَتْ حديقةً برِّيَّةً ونامية بإفراطٍ.

«معذرةً، أهناكَ أيُّ وحوشٍ غيرِ أليفةٍ؟» سألَ مدلر بنبرةٍ عصبيَّةٍ.

«أسوأُ بكثيرٍ،» أجابَتْ بنتُ الميمبل وهي تبتسِمُ ابتسامةً عريضةً. «سأنطلِقُ الآنَ. أراكُم لاحقًا.»

تقدَّمْنَا باحتراسٍ. نفقٌ طويلٌ تشعُّ فيهِ أضواءٌ خضراءُ غامضةٌ قادَنَا خلالَ الأشجارِ والأجماتِ.

«قِفُوا حيثُ أنتم! الزمُوا مكانَكم!» صاحَ هودجكينز فجأةً وتسمَّرَ في أرضِهِ.

أمامَنا فغرَتْ هاويةٌ فمَها. وفي الأسفلِ جثمَ شيءٌ كثيف الشَّعرِ جاحِظ العينينِ - علَى سيقانٍ طويلةٍ مرتعشةٍ - عنكبوتٌ عملاقٌ!

«صه! لنكتشفَ إذَا كانَ غاضبًا،» همسَ جوكستر وبدأَ يقذفُ الحصَى علَى الوحشِ.

تذبذَبَتْ سيقانُ العنكبوتِ، ترنَّحَ بشكلٍ مروِّعٍ ودفعَ عينَيهِ إلَى الأمامِ (كانتَا معلَّقتينِ بعودَينِ منَ القصبِ).

«غيرُ حقيقيٍّ،» أشارَ هودجكينز. «أرجلُه! نوابضُ معدنيَّةٌ.»

نعم، كانَ محقًّا. العنكبوتُ بأكملِهِ صُنعَ من نوابضَ معدنيَّةٍ.

«اسمحُوا لِي، تلكَ تقريبًا وقاحةٌ،» قالَ مدلر. «كما لو أنَّ المرءَ ليس خائفًا بما يكفِي من الأشياءِ الخطرةِ الحقيقيَّةِ!»

«هذَا أحدُ مفاجآتِ الحفلَةِ كمَا أرَى،» علَّق هودجكينز وقادَنَا بحذرٍ مضاعَفٍ.

في منعطفِ الدَّربِ التَّالِي عُلِّقَتْ لافتةٌ تقولُ:

خِفْتُم - أليسَ كذلِك؟

«ما خطرَ لِي في يومٍ أنَّ ملكًا قدْ ينزلُ إلى هذَا المستَوى منَ المزاحِ،» قلْتُ. «حتَّى لو أنَّ عمرَه مئةُ سنةٍ. لا تجعلُوا الخوفَ يسيطرُ عليكُم في المرَّةِ القادمةِ عندمَا نرَى أيَّ شيءٍ بارزٍ.»

«هنَا بحيرةٌ، وهي اصطناعيَّةٌ أيضًا، قالَ هودجكينز.

تفحَّصنَاهَا بعينِ الشَّكِّ. على ضفَّتِها تستقرُّ زوارقُ صغيرةٌ زاهيةٌ مطليَّةٌ بألوانِ المملكةِ، وأشجارٌ لطيفةُ الأشكالِ مائلةٌ فوقَ الماءِ الصَّافِي.

«لا أكادُ أصدِّقُ،» همهمَ جوكستر، واختارَ لنفسِه زورقًا برتقاليَّ اللَّونِ بحافَّةٍ لازورديَّةٍ.

كنَّا في وسطِ البحيرةِ عندمَا باغتَتْنَا المفاجأةُ التَّاليةُ.

انطلقَ رشَّاشٌ قويٌّ منَ الماءِ بينَ زوارقِنا وأغرقَنَا حتَّى العِظامِ. عوَى المُقرمِشُ بصوتٍ مروِّعٍ. وقبلَ أنْ نبلغَ الضِّفَّةَ تعرَّضْنَا لأربعةِ رشاشَاتٍ أخرَى، وعندَ الضِّفَّةِ وجدْنَا لافتةً جديدةً تسألُنَا:

غرقْتُم بالماءِ - أليسَ كذلِكَ؟

«حفلةُ حديقةٍ منَ النَّوعِ الهزليِّ،» همسَ هودجكينز.

«تُعجبُنِي،» أعلنَ جوكستر. «لا ريبَ في أنَّ بابا جونز مخلوقٌ فريدٌ.»

وصلْنَا إلى شبكةٍ كاملةٍ منَ القنواتِ معَ متاهةٍ منَ الجسورِ. في الأماكِنِ الصَّعبةِ يتحتَّمُ علَى المرءِ أنْ يعبرَ علَى جذوعِ أشجارٍ قديمةٍ متعفِّنةٍ، أو علَى نباتاتٍ متسلِّقةٍ متدلِّيةٍ. لكنْ لمْ يحدثْ شيءٌ خاصٌّ، ما عدَا أنَّ المُقرمشَ غاصَ برأسِهِ في مصرفِ طينٍ.

ثمَّ على حينِ غرَّةٍ هتفَ جوكستر: «أخيرًا هَا هِي طرفةٌ جديدةٌ! إلَّا أنَّه هذه المرَّة لنْ يخدعَني!» وبالتَّالي تقدَّمَ جوكستر مباشرةً نحوَ ثورٍ ضخْمٍ محشوٍّ وصفَعَهُ علَى خطْمِهِ.

لكنَّ الثَّورَ لمْ يكُنْ محشوًّا. كانَ ثورًا نابضًا بالحياةِ، وأطلَقَ خوارًا رهيبًا. فولَّينَا الفرارَ إلَى ما وراء سياجٍ عشبيٍّ كثيفٍ حيثُ كانَتْ بانتظارِنا لافتةٌ جديدةٌ:

لمْ يخطرْ هذَا على بالِكَم - أليسَ كذلِك؟

شيئًا فشيئًا أصبحْنَا أكثرَ تأقلمًا معَ المفاجآتِ. توغَلْنَا أبعدَ فأبعدَ، وأعمقَ فأعمقَ في حديقةِ بابا جونز، خلالَ كهوفٍ مُورقَةٍ ومخابِئَ سرِّيَّةٍ، تحْتَ شلَّالاتٍ وفوقَ هاوياتٍ جديدةٍ وأضواءِ ألعابٍ ناريَّةٍ. لكنَّ الحاكمَ المطلقَ زوَّدَ ضيوفَه بأشياءَ أخرَى غيرِ المصائدِ والمتفجِّراتِ ووحوشٍ من النَّوابضِ المعدنيَّةِ. ولو أمعنَ المرءُ النَّظرَ في الجذورِ، في الأشجارِ المجوَّفةِ، وشقوقِ الصُّخورِ، يعثرُ أحيانًا على أعشاشٍ صغيرةٍ فيها بيضةٌ أو أكثرُ مطليَّةٌ بلونٍ ذهبيٍّ زاهٍ. وكلُّ بيضةٍ عليها رقمٌ.

أنا وجدْتُ الأعدادَ 67, 14, 890, 223، و27.

كان ذلِكَ يانصيب بابا جونز الملكي.

استولَى علينَا جنونُ البحثِ عنِ البيضِ. عثرَ المُقرمشُ على بيضٍ كثيرٍ، لكن تعذّر علينا أن نُفهمه أنَّ الاحتفاظَ بهِ من أجلِ السَّحبِ أفضلُ من أكلِهِ فورًا.

جاءَ هودجكينز في المرتبةِ الثَّانيةِ، ثمَّ أنَا، ثمَّ جوكستر الذي كان أكسلَ من أنْ يبحثَ جديًّا، وأخيرًا مدلر الَّذي تضمَّنَتْ طريقتُه في البحثِ القفزَ هنُا وهناك.

أخيرًا صادَفْنَا نهايةَ حبلٍ طويلٍ أحمرَ وأصفرَ مقذوفٍ بينَ الأشجارِ، ومعقودٍ على شكلِ أقواسٍ جميلةٍ. وبينمَا تتبَّعنَاهُ بدأْنَا نسمعُ مزيجًا منْ صيحاتِ ابتهاجٍ وطلقاتٍ ناريَّةٍ وموسيقى. بدَا أنَّ الحفلةَ في أوجِها.

«أعتقدُ أنَّنِي سأبْقَى هنَا وأنتظرُكُم،» قالَ المُقرمشُ بشيءٍ منَ العصبيَّةِ. «هناكَ الكثيرُ منَ النَّاسِ.»

«كمَا تشاءُ،» ردَّ هودجكينز. «إنَّما ابقَ حيثُ أنتَ حتَّى نجدَكَ ثانيةً.»

عندمَا أصبحْنَا نقفُ عندَ أطرافِ مرجٍ فسيحٍ عظيمٍ. نظرْنَا مشدوهينَ. في منتصَفِ المرجِ قامَ بيتٌ ضخمٌ دائريٌّ بدَا أنَّهُ يلفُّ ويدورُ، عليهِ أعلامٌ مرفرفةٌ وخيولٌ بيضاءُ ذاتُ دروعٍ فضيَّةٍ لمَّاعةٍ، وثمَّةَ أوركسترا تعزفُ طوالَ الوقتِ.

«ما ذاك بحقِّ السَّماءِ؟» سألْتُ بحماسةٍ.

«دوَّامةُ خيلٍ،» أجابَ هودجكينز. «ألَا تتذكَّرُ؟ رسمْتُها لكَ مرةً؛ مقطعُ المحرِّكِ العرضيِّ.»

«أنتَ لمْ ترسمْهَا هكذَا،» اعترضْتُ. «إنَّها خيولٌ وموسيقًى وأعلامٌ وألوانٌ مذهَّبةٌ!»

«وعجلاتُ تروس،» قالَ هودجكينز.

«شرابُ الزَّنجبيلِ؟» سألَتْنَا هيميولنة ضخمةٌ بمئزرٍ غيرِ لائقٍ (أنَا لطالمَا قلْتُ هذَا: لا تَتمتَّعُ جماعةُ الهيميولن بأيِّ ذوقٍ). ثمَّ ناولَتْ كلًّا منَّا قدحًا، وقالَتْ لافتةً انتباهَنَا:

«يجبُ أنْ تذهبُوا وتتمنَّوا لبابَا جونز طولَ العمرِ. هذَا عيدُ ميلادِه المئةُ كما تعلمونَ.»

أخذْتُ قدحِي من شرابِ الزَّنجبيلِ بيدٍ مرتعشةٍ، ورفعْتُ عيني نحوَ عرشِ الحاكمِ المطلقِ. لأوَّلِ مرَّةٍ في حياتِي شاهدْتُ ملكًا حقيقيًا! كان كبيرَ السِّنِّ ومجعَّدًا ومرحًا، وكان يضربُ الأرضَ معَ الموسيقَى جاعلًا عرشَهُ يهتزُّ. تحْتَ العرشِ احتفظَ ببوقٍ ضبابيٍّ، كانَ يطلقُ نفخةً قصيرةً كلَّمَا رغبَ الملكُ في رفعِ نخبِ أيِّ أحدٍ من أتباعِه.

انحنينَا للملِكِ، وعندمَا سكَتَ البوقُ الضَّبابيُّ قالَ هودجكينز: كلُّ مئةِ سنةٍ وأنتَ بخيرٍ!»

«ونشكرُكَ على المفاجآتِ النَّاجحةِ، يا جلالةَ الملكِ،» أضفْتُ بصوتٍ متكلِّفٍ ورفعْتُ ذيلي بالتَّحيَّةِ.

«مرحَى!» قالَ بابا جونز وضحكَ بسرورٍ. «هل تهشَّمَ العنكبوت؟ هل أغرقكُم الماءُ؟ ماذا فعلَ الثَّورُ؟ أَوقِعَ أحدكم في فخِّ الدّبسِ؟ حقًّا، أحيانًا من المسلِّي كثيرًا أن يكونَ المرءُ ملكًا!»

«إنْ تسمحْ لِي فخامتُك...» بدأْتُ أقولُ.

«ادعُنَا جونز رجاءً،» قالَ الحاكمُ المطلقُ. «ياهووه، يا شعبِيَ الطَّيِّبَ والمخلصَ! (تنبَّا لكمْ، أوقفُوا دوَّامةَ الخيلِ!) أقبِلُوا، كلُّكم! حانَ وقتُ سحبِ جوائزِ اليانصيبِ!»

توقَّفَتِ الأراجيحُ ودوَّامةُ الخيلِ، وأقبلَ جميعُ النَّاسِ يجرُّونَ ذيولهَم ومعهم البيضُ.

«701!» صاحَ بابا جونز. «من معَهُ العددُ 701؟»

«أنَا،» هتفَ هودجكينز.

«هنا رجاءً،» قالَ الملكُ وسلَّمهُ منشارَ زخرفةٍ ممتازٍ منَ النَّوعِ الَّذي أرادَهُ دائمًا.

ضغطْتُ على ما معي من البيضِ بحرارةٍ. وكلَّما أُعلِنَ عن رقمٍ جديدٍ شعرْتُ بانقباضٍ في حنجرَتِي - لكنْ في كلِّ مرَّةٍ كانَ الرَّقمُ يخصُّ شخصًا آخرَ. بدا لِي أنَّ أيَّ خنفساءٍ سوداءَ صغيرةٍ فازَتْ بشيءٍ أو آخرَ، إنَّما ليسَ أنَا.

أصبحَ لدَى جوكستر ومدلر صفٌّ منَ الجوائزِ أمامَهما وكانَا مشغولَين بهَا، لأنَّ معظمَها كراتُ شكولاتةٍ، وحلوى مرصبان هيميولني، وورودٌ من غزلِ البناتِ. وهودجكينز تربَّعَ على العشبِ وفي حضنِهِ كومةُ أشياءَ عمليَّةٍ ومُضجرَةٍ.

أخيرًا قامَ بابا جونز، وألقى خطابًا قصيرًا:

«يا رَعايا مملكتي الأعزاء! يا أتباعِي الأحبابَ الطَّائشينَ ذوي الرُّؤوسِ المشوَّشةِ الفوضويَّةِ! فازَ كلٌّ منكم بالأشياءِ الَّتي تناسبُه تمامًا والَّتي استحَقَّها. بحكمَتِنا المئويَّةِ أخفيْنَا البيضَ في ثلاثةِ أماكنَ. أوَّلًا بينَ الحشيشِ حيثُ يمكنُ أنْ تصادفُوه وأنتم تتجوَّلُون، أو إنْ كنْتُم أكثرَ كسلًا منَ البحثِ بعنايةٍ؛ تلك الجوائزُ كلُّها صالحةٌ للأكلِ. ثانيًا، أخفيْنَا بعضَ البيضِ حيثُ يمكنُ العثورُ عليهِ بالبحثِ الدَّقيقِ والمنهجيِّ؛ تلكَ الجوائزُ مفيدةٌ. وثالثًا، اخترْنَا

المخابئَ التي تحتاجُ درجةً معيَّنةً منَ الخيالِ للعثورِ عليها؛ وتلك الجوائزُ ليسَتْ ذاتَ أيِّ فائدةٍ مطلقًا. والآن، يا أتباعِي يا رؤوسَ الخنازيرِ الأعزاء والسَّخيفين! منْ منكُم بحثَ في هذهِ الأماكنِ الَّتي تحتاجُ إلى الخيالِ: في السَّواقِي، في رؤوسِ الأشجارِ، في براعمِ الأزهارِ، وفي جيوبِ ثيابه، أو في تلالِ النَّمل؟ من معَهُ الأعدادُ 67, 14, 890, 999, 223 و27؟»

«معي أنا،» صحْتُ بأعلَى صوتِي، وهذَا أصابَنِي بشيءٍ من الإحراجِ للحظةٍ.

وبعدَ ذلِكَ بقليلٍ هتفَ صوتٌ صغيرٌ إلى جانبِي: «999!»

«تعالَ إلى هُنا، أيُّها المومين الصَّغيرُ المسكينُ،» قالَ بابا جونز. «انظرْ إلى جوائزِكَ عديمةِ الفائدةِ الَّتي لا نفعَ فيها بتاتًا. أتعجبُكَ؟»

«بشدَّةٍ، فخامتكَ،» نطقْتُ من بين أنفاسِي.

كانَتْ جوائزي ساحرةً. أظنُّ أنَّ العددَ 27 هو الألطفُ، إذ كانَ زينةً تخصُّ غرفةَ جلوسٍ: ترامواي من زبدِ البحرِ على ركيزةِ مرجانٍ. ويمكنُ أنْ يضعَ المرءُ دبابيسَ الأمانِ على المنصَّةِ الأماميَّةِ. العددُ 67 كان مخفقةَ شمبانيا مرصَّعةً بالعقيقِ. الجوائزُ الأخرى تألَّفَتْ من نابِ سمكةِ قرشٍ، حلقةِ دخَّانٍ مُصبَّرةٍ، ومقبض أرغن يدويٍّ مطعَّمٍ بأمِّ اللَّآلئِ. أيمكنُكم أن تستوعبُوا أهميَّةَ نعمَتي؟

«وماذا بِشأنِي؟» سألَتْ بنتُ الميمبل الَّتي معَها الرَّقمُ 999.

«يا صغيرتي،» قال بابا جونز بجدِّيَّةٍ بالغةٍ. «لقدْ سحبْتِ الجائزةَ الكبرَى. أنتِ مُخوَّلةٌ بتقبيلِ أنفِ بابا جونز.»

تسلَّقَتْ بنت الميبل بخجلٍ حضنَ الحاكِمِ المطلقِ، وقبَّلتْهُ على أنفِهِ الملكيِّ المسنِّ. هلَّلتِ الجماهيرُ بجنونٍ وبدأَتْ تأكلُ جوائزَهَا.

كانت حفلةٌ فاخرةٌ وفخمةٌ ومُسرفَةٌ. عندَ الغسقِ، أُضيئَتْ فوانيسُ ملوَّنةٌ في أرجاءِ حديقةِ المفاجآتِ كافَّةً، وجميعُ الحضورِ لعبُوا أو رقصُوا أو غنَوا إلى الصباح، ونسَوا كلَّ شيءٍ ما عدا ذلك.

كنْتُ أتسكَّعُ معَ الآخرين عندمَا ميَّزْتُ أنثى بدَتْ بأكملِهَا مكوَّنةً من أعضاءٍ مستديرةٍ. تقدَّمْتُ منها، انحنيْتُ لهَا وقلْتُ:

«عفوًا سيدتي، أيصادفُ أنَّكِ الميمبل؟»

«نعم بنفسِها!» أجابَتْ وهي تضحكُ. «أنطُّ وأتعثَّرُ، يا للكميَّةِ الهائلةِ الَّتي أكلْتُها. اسمعْ يا مومين، ألستَ آسفًا للحصولِ علَى مثلِ تلكَ الجوائزِ الغريبةِ؟»

«تُعجبُنِي،» قلْتُ. «وفكِّري فقط في الشَّرفِ الَّذي نلْتُه! من غيرِ الحاجةِ إلى ذكرِ ابنتِكِ الَّتي فازَتْ بالجائزةِ الكبرى.»

«لقدْ شرَّفَتِ العائلةَ،» قالَتْ الميمبل باعتزازٍ.

«ما يعنِي أنَّكِ ما عدْتِ غاضبةً منهَا؟»

«غاضبةٌ؟» فوجِئَتِ الميمبل من سؤالِي. «أنا لا أغضبُ مطلقًا من أيِّ مخلوقٍ، على الأقلِّ ليس لمدةٍ طويلةٍ. إنَّني ببساطةٍ لا أملك وقتًا لهذَا! ثمانيةَ عشرَ، تسعةَ عشرَ طفلًا عليَّ أنْ أنظِّفَهم وأضعَهم في الأسِرَّةِ، أزرِّرُ ثيابَهم وأفكُّ الأزرارَ، أطعمُهم، أجفِّفُ أنوفَهم، والغروك تعرفُ ما ينتظرُها. لَا. يا مومِيني الفتِي، أنا أرفِّهُ عن نفسِي طوالَ الوقتِ!»

«ويا للأخِ الفريدِ الَّذي لديكِ،» قلْتُ من بابِ متابعةِ المحادثةِ.

«أخٌ؟» هتفَتِ الميمبل.

«نعمْ، خالُ بنتِكِ،» وضَّحْتُ. «الذي يخيِّمُ إلى جانب الكلماتِ الطَّويلةِ جدًّا إلى أنْ يتعلَّمَها جيّدًا، والَّذي يفترشُ لحيتَه الحمراء الطّويلة حيثُ يقيمُ فأرانِ أبيضانِ من غيرِ أنْ يدفعَا الإيجارَ.»

بدأَتِ الميمبل تضحكُ من قلبِها وقالَتْ: «يا لَهَا من ابنةٍ، ابنتِي هذهِ! إنَّها تتلاعبُ بكَ يا مومين! ليس لديهَا أيُّ خالٍ حسبَ ما أعرفُ. أراكَ لاحقًا، يجبُ أنْ أحاولَ ركوبَ دوَّامةِ الخيلِ!»

ثمَّ جمعَتِ الميمبل أكبرَ عددٍ منْ أطفالِها يمكنُ أنْ يستوعبَهُ حضنُها الواسعُ وصعدَتْ إلى إحدَى العرباتِ الحمراءِ التي يقودُها حصانٌ أبلقُ.

«يا لَها من سيِّدةٍ مميَّزةٍ،» قالَ جوكستر بإعجابٍ صادقٍ.

على أحدِ الأحصنةِ جلسَ مدلر وبدَا ظريفًا.

«حسنًا؟» قلْتُ لهُ. «أليسَ هذَا مسلِّيًا؟»

«نعم شكرًا، إنه فخمٌ،» أجابَ مدلر. «أنا بالتَّأكيدِ أستمتِعُ بوقتٍ ممتازٍ. لكنْ هذَا الالتفافُ والالتفافُ يصيبُ المرءَ بشيءٍ منَ الدُّوارِ، وفي النِّهايةِ يصبحُ الأمرُ مؤسفًا!»

«كم مرَّة دارَتْ بكَ الدَّوَّامةُ؟» سألْتُه.

«لا أدري،» ردَّ مدلر بإعياءٍ. «الكثير! الكثير جدًّا. أوه، ها أنَا أنطلقُ مجدَّدًا!»

«حانَ وقتُ الذَّهابِ،» أعلنَ هودجكينز. «أينَ الملك؟»

لكن بابا جونز كانَ مشغولًا بالأراجيحِ، ولذلِكَ غادرْنَا خفيةً.

(ماعدَا جوكستر الَّذي عجزَ عنِ انتزاعِ نفسهِ منْ صحبَةِ الميمبل المرحَةِ والضَّاحكةِ.)

في المتنزهِ وجدْنَا المُقرمِشَ الَّذي حفرَ لنفسِهِ جحرًا في الأرضِ ونامَ.

«هللو!» قلْتُ لهُ. «أنتَ لمْ تأخذْ جوائزَكَ.»

«جوائزُ؟» هتفَ المُقرمشُ ورفَّ جفنَيه.

«البيضَ الَّذي جمَّعتَه،» فسَّرَ لهُ هودجكينز. «كان معكَ دزينةٌ.»

«أكلْتُ البيضَ كلَّه،» أجابَ المُقرمشُ بحياءٍ. «لمْ أجدْ أيَّ شيءٍ آخرَ أفعلُه وأنا أنتظركُم.»

في أغلبِ الأحيانِ تساءلْتُ عمَّا يمكنُ أنْ تكونَ جوائزُ المُقرمشِ، ومن حصلَ عليهَا عندمَا لمْ يطالبْ بهَا.

لعلَّ بابا جونز احتفظَ بها لحفلَةِ الحديقةِ التَّاليةِ بمناسبةِ ذكرَى عيدِ ميلادِه المئويَّةِ القادمَةِ.

6

وفيهِ أُصبحُ مستعمِرًا في ملكيَّةٍ غيرِ مقنَّنةٍ، وأُظهر حضورًا ذهنيًا مميّزًا عندمَا نَجتمعُ بشبحِ جزيرةِ الرُّعبِ.

في فجرِ اليومِ التَّالي قرعَ بابَ قمرتِنَا هيميولن من حرَّاسِ الحاكمِ المطلَقِ المنتظمينَ، وصاحَ: «برقيَّةٌ! برقيَّةٌ عاجلةٌ للسيِّدِ هودجكينز!» وبهدوءٍ اعتمرَ هودجكينز قبَّعةَ القبطانِ ثمَّ فتحَ البرقيَّةَ. جاءَ فيهَا:

نلفتُ أنظارَ يُرجَى المخترعُ منَ الدَّرجةِ الأولَى هودجكينز تسخيرَ مواهبِ فورًا الحاكمُ المطلقُ جونز عاجلٌ.

«اعذرْنِي،» انبرَى مدلر يقولُ، «إنَّهُ لا يبدُو كاتبَ رسائلَ عظيمٍ. هناكَ الكثيرُ منَ الكلماتِ والفواصلِ المفقودَةِ.»

«هكذَا تكونُ البرقيَّاتُ السَّريعةُ،» فسَّر هودجكينز. «لا وقت لوضعِ كلماتٍ كثيرةٍ. هذهِ برقيَّةٌ جيِّدةٌ جدًّا.»

«لكنْ أنتَ بنفسِكَ قلْتَ إنَّ حرفًا واحدًا لا يُفقَد في الطّريق،» قالَ المُقرمشُ.

«يتطلَّبُ الشَّرحُ وقتًا طويلًا الآنَ،» أجابَ هودجكينز. «يجبُ أنْ أرَى الملكَ.»

«أتسمحُ لِي أنْ أضيفَ الكلماتِ النَّاقصةَ إلى برقيَّتِكَ في غيابِكَ؟» سألَهُ مدلر.

«نعم افعلْ،» قالَ هودجكينز. «لكنْ بعنايةٍ.»

«هلْ ستبقَى معَ الملكِ؟» سألْتُه بقلقٍ.

«لَا أعرفُ بعدُ،» ردَّ هودجكينز بإيجازٍ وهو يلمِّع سحَّابَ بنطلونه. «هذَا يعتمدُ. هناك أدوات جديدة... وأطنان منْ قطعِ الغيارِ... وأميالٌ منَ النَّوابضِ المعدنيَّةِ... وقدْ أُحسِّنُ السَّفينةَ البيتَ...»

«وماذا عنِّي؟» استفسرْتُ.

«أنتَ؟» هتفَ هودجكينز متفاجئًا. «ستبقَى أيضًا، طبعًا. بصفتِكَ مومين ملَكي متخصِّص في البناءِ. سنجدُ بقعةَ أرضٍ، ونصبحُ مستعمرِين.»

«ممم» همهَمْتُ ومضيْتُ إلى اليابسةِ لأزورَ الميمبل. ركلْتُ حجرًا أمامِي وتخيَّلْتُ أنَّهُ ملكٌ، إلَى أنْ تذكَّرْتُ فجأةً أنَّني أنَا بنفسِي مناصِرٌ للملكيَّةِ. ليحفظَ الرَّبُ الملكَ، قلْتُ بسرعةٍ ثلاثَ مرَّاتٍ. الحجرُ هو المستعمرُ، عسَى الغروك تأخذُه.

«صباحُ الخيرِ،» حيَّتنِي بنتُ الميمبل. كانَتْ واقفةً عندَ مضخَّةِ الماءِ تنظِّفُ إخوتَها وأخواتِها الصِّغارَ. «هلِ ابتلعْتَ ليمونةً؟»

«ما عدْنا مُستكشفينَ، أصبحْنَا الآن مستعمِرين،» قلْتُ.

«أيّ طاعون،» قالَتْ بنتُ الميمبل. «ذاكَ سيِّئٌ. ماذا يفعلُ المستعمرونَ؟»

«لا أدرِي،» أجبْتُ. «على الأرجحِ يفعلونَ شيئًا سخيفًا. أظنُّ أنَّهُ منَ الأفضلِ اللَّحاقُ بجماعةِ الهاتيفاتنر؛ منعزلينَ كريحِ الصَّحراءِ أو نسورِ الجبلِ.»

«سآتِي معكَ!» أعلنَتْ بنتُ الميمبل.

«ثمَّةَ اختلافٌ كبيرٌ بينَك وبينَ هودجكينز،» قلْتُ (اختلافٌ ملحوظٌ).

«نعم، أليسَ هذا صحيحًا؟» صاحَتْ بنتُ الميمبل بسرورٍ. «ماما! أينَ أنتِ؟»

«هنَا،» أجابَتِ الميمبل وأخرجَتْ رأسَهَا من تحتِ ورقةِ شجرٍ كبيرةٍ. «ما عددُ الَّذين نظَّفْتِهم؟»

«النِّصف،» أجابَتِ ابنتُها. «سأتوقَّفُ عند هذا الحدّ، لأنَّ المومين طلبَ منِّي السَّفرَ حولَ العالمِ معَهُ.»

«حسنًا، في واقعِ الأمرِ...» ذاك ما استطعْتُ قولَه فحسب.

إذْ سرعَانَ مَا هتفَتِ الميمبل بدهشةٍ: «حقًّا! إذًا لن تعودَا من أجلِ العشاءِ؟»

«أوه لَا، ماما،» قالَتْ بنتُ الميمبل. «عندمَا نلتَقي في المرَّةِ القادمَةِ سأكونُ أكبرَ وأضخمَ ميمبل في العالَمِ! متَى نبدأُ؟»

«أفترضُ أنَّ حياةَ المستعمراتِ ليسَتْ سيئةً كثيرًا في نهايةِ المطافِ،» قلْتُ بصوتٍ واهنٍ. «ونحنُ تنقصُنا ميمبل. لذا في حالِ يروقُ لكِ أنْ تكوني مستعمِرةً...»

أحبَّتِ الفكرةَ إلى حدٍّ مَا.

جماعةُ الميمبل يحبُّونَ أيَّ شيءٍ.

على بعدِ مَا يقاربُ ميلَين بحريَّين شمالَ مملكةِ بابا جونز تقعُ جزيرةٌ على شكلِ قلبٍ، معتدلةُ الاتِّساعِ. وقد استعمرنَاها.

رسوْنَا بالسَّفينةِ في الخليجِ الصَّغيرِ، وبقيَ هودجكينز على متنِهَا حيثُ بدأَ يخترعُ الأبوابَ السِّحريَّةَ للحاكمِ المطلقِ. استقرَّ جوكستر في شجرةِ تفَّاحٍ عندَ الجانبِ الشَّرقيِّ. وأنا نقلْتُ بيتَ المومين منَ السَّفينةِ إلى الشَّاطئِ الغربيِّ. صفيحةُ مدلر رُفعَتْ نحوَ قمَّةِ التَّلَّةِ في وسطِ الجزيرةِ لأنَّهُ كانَ خائفًا

قليلًا منَ الإقامةِ قربَ الضِّفافِ، كما قَالَ. وباقي الجزيرة أصبحَ يخصُّ بنتَ الميمبل - ما عدَا رأسَ القلبِ الَّذي اخترنَاه ليكونَ مكانَ اجتماعاتِنا السِّريَّ.

عقدْنَا المجلسَ الأوَّلَ (لنسنَّ قوانينَ المستعمرَةِ) في يومِ خميسٍ وقتَ الغسقِ. كلٌّ منَّا معَهُ قوقعةٌ كبيرةٌ ليجلسَ عليهَا، ونزعَ هودجكينز سدادةَ شجرةٍ مجوَّفةٍ سبقَ أنْ ملأنَاها بمَا زوَّدَنَا به بابا جونز من نبيذِ النَّخيلِ المَحليِّ.

قدَّمَ لنا مدلر كيزانَ الذُّرةِ (طعامِي المفضَّل) وكعكةَ البرقوقِ. ومن بينِ خطِّ الأفقِ أطلَّ علينَا قمرٌ برتقاليٌّ نيِّرٌ برأسِه، واللَّيلةُ كانَتْ دافئةً جدًّا.

«والآنَ، مَن هو المستعمِرُ رجاءً؟» بدأْتُ بالسُّؤالِ.

«المستعمرونَ غرباءٌ في بلدٍ ما، لا يستسيغونَ كثيرًا أن يعيشُوا حياةً منعزلةً،» فسَّرَ جوكستر. «ولذَا ينتقلونَ ليعيشُوا معًا في البريَّةِ، وهناك لا يلبثُوا أنْ يتشاجرُوا، كما أعتقدُ. أفترضُ أنَّهم يفضِّلونَ الخصامَ على ألَّا يجدُوا أحدًا ليتناوشُوا معَه.»

«هل يتحتَّمُ علينا أنْ نتشاجرَ؟» سألَ مدلر. «لنْ يعجبَني ذلِكَ، معذرةً! إنْ صحَّ هذَا فهوَ مؤسفٌ كثيرًا!»

«ربَّاهُ! لا،» هتفَ هودجكينز. «سنعيشُ في سلامٍ.»

«تمام،» قالَ جوكستر. «وأحيانًا سنجعلُ شيئًا غيرَ عاديٍّ ومفاجِئًا يحدثُ. ثمَّ يعمُّ السَّلامُ من جديدٍ. ما رأيكُم؟»

«عظيمٌ!» هتفْنَا بصوتٍ واحدٍ.

«شجرتِي عندَ الجانبِ المشمسِ،» تابعَ جوكستر بصوتٍ حالمٍ. «أناشيدُ وتفَّاحٌ ونومٌ لوقتٍ متأخِّرٍ، كما تعلمونَ. لا أحدٌ يئزُّ من حولِي ويخبرُنِي أنَّ المهامَ لا يمكنُ تأجيلُهَا... سأتركُ الأشياءَ تديرُ نفسَها.»

«وهلْ تفعلُ؟» سألُهُ مدلر.

«هل تفعلُ؟» هتفَ جوكستر. «ما عليكَ إلَّا أنْ تدعَهَا وشأنَها وستُدهشُ؛ البرتقالُ ينمو، والأزهارُ تتفتحُ، وأحيانًا يولدُ جوكستر جديدٌ ليأكلَها ويستنشقَ عبيرَها. والشَّمسُ تشرقُ على ذلِك كلِّه.»

«برتقالٌ كبيرٌ شهيٌّ،» قالَ المُقرمشُ. (كان جالسًا وحدَهُ يشربُ الحليبَ لأنَّهُ أصغرُ من أنْ يشربَ نبيذَ النَّخيلِ.)

«أنتَ، أيُّها المُقرمشُ الصَّغيرُ،» خاطبَهُ هودجكينز بلطفٍ. «ستعودُ إلى البيتِ وأمّك. غدًا صباحًا على الصُّرَّةِ العائمةِ.

«أهذَا صحيحٌ،» هتفَ المُقرمشُ وسارعَ إلى رشفِ حليبِهِ.

«أمَّا أنَا فسأبقَى،» أعلنَتْ بنتُ الميمبل. «إلى أنْ أصبحَ كبيرةً. يَا هودجكينز، ألَا يمكنُكَ أنْ تخترعَ أيَّ شيءٍ يجعلُ الميمبل تنمُو بشكلٍ كبيرٍ جدًّا؟»

«ميمبل صغيرةٌ تكفِي،» قلْتُ.

«هذَا ما تقولُه أمِّي أيضًا،» ردَّتْ. «أتعرفُ، لقدْ ولدْتُ بهدوءٍ، ولمْ أكنْ أكبرَ منْ برغوثِ ماءٍ عندمَا وجدَتْني أمِّي في حوضِ السَّمكِ الَّذي يخصُّها!»

«تخترعينَ القصصَ ثانيةً،» قلْتُ. «أنا أعرفُ حقَّ المعرفةِ أنَّ النَّاسَ ينمونَ في بطونِ أمَّهاتِهم، مثلَ بذورِ التُّفاحِ.»

«فكِّر كمَا يحلُو لكَ أنْ تفكِّرَ،» قالَتْ بنتُ الميمبل.

آنذاكَ ارتفع جوكستر بعض الشيء وقالَ:

«انتظرُوا قليلًا! هناكَ شيءٌ غريبٌ...»

مرَّتْ عبرَ القمرِ غيمةٌ باهتةٌ. استمعْنَا باهتمامٍ بالغٍ. كانَ كلُّ شيءٍ ساكنًا.

«أنتَ تحاولُ إخافَتَنَا!» قالَ مدلر. «نحنُ المستعمرونَ الوحيدونَ في هذهِ الجزيرةِ.»

«ربَّما،» غمغمَ جوكستر وجلسَ ثانيةً. «انتابَنِي شعورٌ بأنَّ شخصًا يتسلَّلُ على الرَّملِ. أقلْتَ مثلَ بذورِ التُّفاحِ؟»

«نعم، أو نوَى الخوخَ،» أجبْتُ. «أأنتَ واثقٌ من أنَّكَ مخطئٌ؟ ألمْ تلمَحْ أيَّ أحدٍ؟»

«شيءٌ رماديٌّ وضبابيٌّ ربَّما - أنا لا أدرِي حقًّا،» همهَمَ جوكستر. «كأنّه انزلَقَ تقريبًا.»

«أنا أشعرُ بالبردِ،» قالَ مدلر بنبرةٍ عصبيةٍ. «اعذرونِي، أهناكَ من يرافقُني إلى بيتِي؟»

«يمكنكَ أنْ تقضيَ اللَّيلةَ معي،» اقترحَتْ بنتُ الميمبل. «أنا في غايةِ الشَّجاعةِ.»

«وبيتُكِ متينٌ؟» سألَها مدلر.

«منَ الصّلبِ والحجارةِ!» أجابَتْ.

(طبعًا كلُّنا نعرفُ أنَّها تقيمُ تحتَ ورقةِ شجرةٍ كبيرةٍ.)

لكنَّ مدلر شعرَ بالارتياحِ، وهكذَا مضيًا سويَّةً معَ المُقرمشِ بمجرَّدِ أنْ أحكمْنَا ربطَ بطاقَةِ عنوانِهِ بذيلِهِ من أجلِ رحلَتهِ إلَى البيتِ وقبَّلْنَا أنفَه. (كانَ من المشرَّفِ كثيرًا بالنِّسبةِ إليهِ أنَّهُ لمْ يودِّعْ أحدًا بقضمِ أنفِه.)

«بلِّغْ أمَّكَ أفضلَ تحياتِنَا،» قالَ هودجكينز. «ولا تُغرِقِ الصُّرَّةَ العائمةَ.»

«لنْ أفعلَ،» هتفَ المُقرمشُ بحبورٍ ثمَّ ذهبَ.

«حسنًا،» قالَ هودجكينز وهو يفرغُ قدحَهُ منَ النَّبيذِ. «أفترضُ أنَّنا سنتوقَّفُ عندَ هذَا الحدِّ نحنُ أيضًا. يمكنُ أنْ تؤجَّلَ القوانينَ.»

«ألَا يمكنُ أنْ نجعلَها مستعمرةً غيرَ مقنَّنةٍ؟» استفهَمَ جوكستر. «القوانينُ مزعجةٌ دائمًا.»

«علينا أنْ نكسرَها أوَّلًا، طبعًا،» قالَ هودجكينز. «أعنِي، يجبُ أنْ يحدثَ شيءٌ غيرُ سويٍّ قبلَ أنْ تدركَ أنَّ ذلِك يستدعِي وجودَ قانونٍ.»

«لكنْ ماذَا لو فعلْتَ شيئًا بطريقةٍ غيرِ صائبةٍ، ولمْ يترتَّبْ عليهِ أيُّ شيءٍ غير سويٍّ لاحقًا؟» سألْتُ. «هذَا يحدُثُ كمَا تعلمونَ، أيستدعِي ذلكَ سَنُّ قانونٍ أيضًا؟»

«هذا لغزٌ محيِّرٌ،» علَّقَ هودجكينز. «تصبحونَ على خيرٍ!»

افترقْنَا عندَ صفيحةِ مدلر الَّتي وقفَتْ خاليةً ومهجورةً علَى قمَّةِ التَّلَّةِ (وكالعادةِ نسيَ أنْ يضعَ عليهَا الغطاءَ).

مشيْتُ وحدِي إلى بيتِي.

كانَ قائمًا بشكلٍ جميلٍ تحتَ السَّماءِ بينَ قممِ المنحدرِ والشَّاطئِ. لمعَ الرَّملُ تحتَ ضوءِ القمرِ، وتراقصت الظّلال ذات السّواد الحالك. تسلَّقْتُ الدَّرجَ إلى الغرفة التي سبق أن اعتبرناها قمرةَ القيادةِ، وفتحْتُ النَّافذةَ. كانَتِ اللَّيلةُ بالغةَ السُّكونِ بحيثُ يمكنُ أنْ يسمعَ المرءُ العثَّ الفَرَويَّ يُفلِّي أجنحتَهُ.

ثمَّ صرَّ بابُ البيتِ في الأسفلِ.

وهبَّ تيَّارٌ باردٌ إلى الأعلَى حيثُ أنَا ونفخَ في رقبَتي.

الآنَ، أدرِكُ بكلِّ ثقةٍ أنَّني لمْ أفزعْ؛ فقط اتَّخذْتُ إجراءاتٍ وقائيَّةً طبيعيَّةً. بتصميمٍ زحفْتُ تحتَ السَّريرِ ولبثْتُ أترقَّبُ.

سرعانَ ما بدأَ الدَّرجُ يصرُّ كذلِكَ. صريرٌ خافتٌ ثمَّ آخرُ. وهناكَ تسعَ عشرةَ درجةً. عرفْتُ ذلِك لأنَّ عمليَّةَ بناءِ السُّلَّمِ كانَتْ معقَّدةً جدًّا (هو درجٌ لولبيٌّ طبعًا). عددْتُ تسعةَ عشرَ صريرًا، ثمَّ خيَّمَ السُّكونُ على كلِّ شيءٍ من جديدٍ، وقلْتُ لنفسِي: «الدَّخيلُ يقفُ عندَ البابِ.»

❃ ❃ ❃

هنَا توقَّفَ بابا مومين عنِ القراءَةِ. كانَتِ الإثارةُ في أوجِها.

«سنيف،» التفَتَ مخاطبًا سنيف، «زِدْ شعلةَ الفتيلِ رجاءً. أتدرونَ، تصبحُ كفايَ رطبتَينِ عندمَا أقرأُ عنِ التَّجربةِ الفظيعةِ!»

«إذًا كانَ ذلِك شبحًا؟» سألَهُ مومين ترول الَّذي رفعَ لحافَهُ إلى أذنَيهِ.

«نعم، كانَ شبحًا،» أجابَ بابا مومين بنبرةٍ جدِّيَّةٍ.

«هلْ أحبَّ أبِي جوكستر تلك الميمبل كثيرًا جدًّا؟» استفسرَ سنفكين فجأةً.

«أعتقدُ أنَّهُ فعلَ،» أجابَ بابا مومين بعدَ هنيهةٍ منَ التَّفكيرِ.

«أكثرَ منِّي؟» عادَ سنفكين وسألَ.

«هو لمْ يركَ قطُّ،» قالَ بابا مومين. «أعنِي لو رآكَ أعتقدُ أنَّهُ كان سيحبُّكَ أكثرَ من أيِّ شيءٍ. لكنْ يا صغيرِي سنفكين، لا داعي لأنْ تكتئبَ انتظرْ قليلًا، سأريكَ شيئًا!»

ذهبَ بابا مومين إلى خزانةِ الزَّاويةِ الكبيرَةِ، وبدأَ يبحثُ في أوطأ رفٍّ. بعدَ فترةٍ عادَ ووضعَ نابَ سمكةِ قرشٍ متلألئًا على سريرِ سنفكين.

«إنَّهُ لكَ،» قالَ. «لطالما أبدى أبوكَ إعجابَه بهِ.»

«يا لذوقِه الرَّفيعِ. شكرًا جزيلًا!» قالَ سنفكين. وعاودَتْهُ البهجةُ.

✽ ✽ ✽

«ماذَا حلَّ بجوائزِ اليانصيب الأخرى؟» استفهمَ سنيف. «أعرفُ أنَّ التَّراموايَ الإسفنجيَّ وراءَ حائطِ غرفةِ الجلوسِ الزُّجاجيِّ، لكنْ ماذَا عنِ الجوائزِ الأخرَى؟»

«حسنًا، لمْ يكُنْ لدينَا مطلقًا أيُّ شمبانيا،» ردَّ بابا مومين برويَّةٍ، «ولذا أتوقَّعُ أنَّ الخفَّاقةَ ما زالَتْ في مكانٍ مَا في أحدِ دروجِ المطبخِ الخلفيَّةِ. والخاتمُ الدُّخانيُّ تبخَّرَ خلالَ بضعِ سنواتٍ...»

«وماذا عن مقبض الأرغن اليدويُّ!» صاحَ سنيف.

أمعنَ بابا مومين النَّظرَ فيهِ.

«لو كنْتُ أعرفُ متى عيدُ ميلادِكَ فقط،» قالَ. «أبوكَ مدلر لم يكترث بتحديدِ التَّواريخِ.»

«في وسعِي أنْ أختارَ أيَّ يومٍ،» اقترح سنيف.

«لا بأس، توقَّعْ في أيِّ يومٍ الحصولَ على رزمةٍ غامضةٍ،» قالَ بابا مومين. «أأتابعُ القراءةَ؟»

هزَّ مومين ترول رأسَه إيجابًا.

وهكذَا بدأ بابا مومين يقرأُ من جديدٍ.

❋ ❋ ❋

فُرِج البابُ قليلًا وببطءٍ، فعامَتْ من خلالِ الشُّقِّ غيمةُ دخانٍ رماديَّةٌ صغيرةٌ، وتكوَّمَتْ علَى سجادَتِي. ومن أعلَى الكومَةِ رفَّتْ عينانِ باهتتانِ صغيرتانِ ولامعتانِ. رأيْتُ ذلِكَ بوضوحٍ من مكمَنِي تحتَ السَّريرِ.

«إنَّه شبحٌ،» قلْتُ لنفسِي. والمضحكُ في الأمرِ أنَّ رؤيتَه كانَتْ أقلَّ إثارةً للخوفِ منَ الاستماعِ إلى حسّه وهوَ يرتقِي الدَّرجَ.

فجأةً شاعَ في الغرفةِ تيَّارٌ باردٌ صقيعيٌّ، وعطسَ الشَّبحُ.

لا أدري ما يمكنُ أنْ يكونَ شعور غيرِي منَ النَّاسِ، إذْ من جهتِي فقدْتُ فورًا الكثيرَ من شعورِي بالرَّهبةِ. فزحفْتُ من تحتِ السَّريرِ وقلْتُ لهُ: «ليلةٌ باردةٌ يا سيدي!»

«صحيحٌ،» أجابَ الشَّبحُ بنبرةٍ منزعجةٍ. «ليلةُ مصيرٍ كئيبةٍ تدوِّي بعويلِ حناجر الأشباح المفجعِ!»

«كيفَ يمكنُ أنْ أخدمَكَ؟» سألْتُه بأدبٍ.

«في ليلةٍ مصيريَّةٍ كهذِهِ،» تابعَ الشَّبحُ بعنادٍ، «العِظامُ المَنسيَّةُ تقعقعُ على الشَّاطئِ السَّاكنِ!»

«لِمَنِ العظامُ؟» سألْتُه (ما زلْتُ أحاورُه بأدبٍ).

«العِظامُ المَنسيَّةُ،» كرّر الشَّبحُ، «الرُّعبُ الشَّاحبُ يكشِّرُ عن وجهِه في الجزيرةِ الملعونةِ! هلاكٌ، احترسْ!» تمدَّدَ الشَّبحُ، واجهَنِي بنظرةٍ فظيعةٍ وعامَ عائدًا نحو البابِ الموارِبِ. مؤخِّرُ رأسِهِ اصطدَمَ بعضادةِ البابِ بضربَةٍ مدوِّيةٍ.

«آخ!» أنَّ الشَّبحُ.

لمْ أُخفِ سروري.

بهسهسةٍ أخيرةٍ انزلقَ الشَّبحُ هابطًا الدَّرجَ، ثمَّ خرجَ إلى ضوءِ القمرِ. على الأرضِ التفَتَ وودَّعَني بثلاثِ ضحكاتٍ مروِّعةٍ.

«يجبُ أنْ أخبرَ الآخرين غدًا،» قلْتُ لنفسِي. «ربَّما يستطيعُ هودجكينز أنْ يخترعَ قفلًا يصدُّ الأشباحَ، يمكنُ أن أضعَهُ على بابي.»

أخذ هودجكينز المسألةَ بجدِّيَّةٍ أكثرَ ممَّا توقَّعْتُ. «ذاكَ النَّوعُ منَ الأشباحِ قدْ يصبحُ مزعجًا جدًّا،» قالَ. «إذَا سخرْتَ منهُ عندمَا يسعَى إلى ترويعكَ.»

«أتعرفونَ ماذَا فعلَ اللَّيلةَ؟» هتفَ جوكستر. «لقدْ رسمَ جمجمةً وعظمتَين وكلمةَ سُمٍّ على صفيحةِ مدلر، ومدلر يشعرُ بإهانةٍ كبيرةٍ ويقولُ إنَّهُ ليسَ ذلِكَ النَّوعَ منَ الأشخاصِ.»

«يا للتصرُّفِ الطُّفوليِّ،» قلْتُ.

«نعم، ثمَّ هناكَ مختلفُ أنواعِ التَّحذيراتِ بالطِّلاءِ الأحمرِ في جميعِ أنحاءِ أوكسترا المحط،» أردفَ جوكستر، «أظنُّ أنَّه لمْ ينتَهِ منَّا بعدُ.»

فعلًا لم يكنْ قدِ انتهَى.

ضايقَنَا شبحُ الجزيرةِ طوالَ الأسبوعِ؛ لياليا صخبَتْ بنعيبِ البومِ والقعقعةِ وطاولاتٍ تطيرُ هنا وهناك وتتحطَّمُ. وعندمَا عثرَ أخيرًا على سلسلةٍ في صندوقِ أدواتِ هودجكينز، أخذَ يجلجلُ بهَا على مدى أربعِ ساعاتٍ متواصلةٍ،

أصبحَ الوضعُ لا يُطاقُ. فقرَّرْنَا أنْ ندعوَ الشَّبحَ إلَى مجلسٍ سرِّيٍّ ونناقشُهُ بعقلانيَّةٍ. وهكذَا ثبَّتْنَا رسالةً لهُ بالمساميرِ علَى شجرةِ نبيذِ النَّخيلِ:

شبحُ الجزيرةِ المحترمُ،

للأسبابِ الواضحةِ سيُعقدُ مجلسُ أشباح سرِّيٍّ في هذَا المكانِ يومَ الثُّلاثاءِ قبلَ غروبِ الشَّمسِ، وستُعالَجُ شكاوى الأعضاءِ. لا تحضِرْ أيَّ سلاسلَ رجاءً.

مجلسُ المُستعمرَةِ الملكيَّةِ.

«منذُ متَى نحنُ ملكيُّونَ؟» استفهمَ مدلر.

«منذُ أنْ أصبحْتُ مخترعَ الملكِ،» أجابَ هودجكينز.

«عليَّ أنْ أطلبَ منْ أمِّي أنْ تطرِّزَ لِي تيجانًا علَى ملابسِي الدَّاخليَّةِ،» انبرَتْ بنتُ الميمبل تقولُ.

«كانَ منَ المسلِّي أكثرَ حصولُنا علَى مستعمرَةٍ غيرِ تابعةٍ لأحدٍ،» قلْتُ. «فأنَا في جميعِ الأحوالِ أشعرُ أنَّني ملكيٌّ.»

أجابَنَا الشَّبحُ بعدَ الظُّهر، بطلاءٍ أحمرَ على رقٍّ كتابةٍ (تبيَّنَ أنَّ رقَّ الكتابةِ كانَ معطفَ هودجكينز المطريَّ القديمَ، وسمَّرَهُ على الشَّجرةِ بسكِّينةِ تقطيعِ الخبزِ العائدةِ إلى بنْتِ الميمبل.)

قرأَ هودجكينز الرِّسالةَ بصوتٍ عالٍ:

«ساعةُ المصيرِ تقتربُ. الثُّلاثاءُ، لكنْ في منتصفِ اللَّيلِ، عندمَا تعوي كلابُ الموتِ في البرِّيَّةِ المقفرَةِ! أيَّتُها المخلوقاتُ التَّافهةُ، دارُوا أنوفكَم في الأرضِ الباردةِ الَّتي تقعقع بخطواتِ غيرِ المرئيِّينَ الثَّقيلةِ! مصيركُم مكتوبٌ بالدَّمِ على جدرانِ حجراتِ الرُّعبِ. سأحضرُ سلسلَتِي إذَا أحببْتُ.

الشَّبحُ الملقَّبُ بـ الأفظع.»

«حسنًا،» قالَ هودجكينز، «المصيرُ، هيَ كلمةٌ مولعٌ بهَا كمَا أرَى، وبحروفٍ كبيرةٍ. لا تفزَعُوا. إنَّما لا تبالِغُوا في إظهارِ الشَّجاعةِ أيضًا. هذا لن يكونَ تصرُّفًا مهذَّبًا.»

حيَّانَا الشَّبحُ في السَّاعةِ الثَّانيةَ عشرةَ بالضَّبطِ بثلاثِ صرخاتٍ جوفاءٍ وضوءٍ أخضرَ (فقدَ تأثيرَهُ بسببِ نارِ مخيَّمِنَا.)

«ها قدْ حضرْتُ!» زمجرَ الشَّبحُ بصوتِهِ الَّذي يستحيلُ تقليدَهُ. «ارتعدُوا أيُّها الهالكونَ، استعدادًا لانتقامِ العِظامِ المَنسيَّةِ! «

«مساءُ الخيرِ،» حيَّاهُ جوكستر. «أرَى أنَّكَ لمْ تنسَ تلكَ العظامَ. لِمَن هِيَ؟» ولماذَا لا تدفنُهَا؟»

«على رسلِكَ يا جوكستر،» قالَ هودجكينز. «لا تستفزّه. يا عزيزي الشَّبح، هلَّا تركْتَنا نحظَى بقليلٍ منَ النَّومِ رجاءً؟ ألَا يمكنكَ أنْ تنتقلَ إلى مكانٍ آخرَ لفترةٍ؟»

«لقَدْ أصبحْتُ مألوفًا للجميعِ،» ردَّ الشَّبحُ بصوتٍ حزينٍ. «حتَّى إدوارد المنفوخُ ما عادَ يخافُ منِّي.»

«أنا خفْتُ!» صاحَ مدلر. «وما زلْتُ خائفًا!»

«هذَا لطفٌ منكَ،» قالَ الشَّبحُ بامتنانٍ، وأضافَ بسرعةٍ: «هياكلُ القافلةِ المفقودةِ تنوحُ تحتَ ضوءِ القمرِ الباردِ!»

«اسْمعْ،» خاطبَهُ هودجكينز بلطفٍ، «لا يبدُو عليكَ أنَّكَ تحْظَى بالمرحِ الذي يجبُ أنْ تحصلَ عليهِ. سأخاطِبُ الملكَ. وقدْ يعطيكَ منطقةً خاصَّةً بكَ. ما رأيُكَ؟ منطقة مجهّزة جيّدًا بالفوسفور وصفائحِ القصديرِ؟»

«وأبواقٍ ضبابيَّةٍ؟» استفسرَ الشَّبحُ بشيءٍ منَ التَّردُّدِ. «أتظنُّ أنَّكَ قادرٌ علَى تزويدي بهيكلٍ عظميٍّ حقيقيٍّ؟»

«سأبذلُ جهدِي،» أجابَ هودجكينز. «بالمناسبةِ. أتعرفُ خدعةَ الخيطِ والصَّمغِ؟»

«لَا! أخبرْنِي!» قالَ الشَّبحُ باهتمامٍ.

«بسيطةٌ جدًّا،» بدأَ هودجكينز. تأخذُ طولًا مناسبًا من خيطٍ ثخينٍ، لا تقلُّ سماكتُهُ عنْ عشرين. تُحكمُ ربطَهُ بإطارِ النَّافذةِ (نافذةِ عدوٍّ). تقفُ في الخارجِ

وتفركُ الخيطَ بقطعةِ صمغٍ.»

«وهذَا ينتجُ ضوضاءَ مروِّعةً؟» سألَهُ الشَّبحُ بسعادةٍ.

«نعم، صحيحٌ. وإذَا صدفَ أنَّ لديكَ أنبوبَ صفيحٍ وزوجَين من مطوالاتِ الأرجلِ...» تابعَ هودجكينز.

«بحقِّ عينِي الشَّيطانيَّةِ، أنتَ صديقٌ حقيقيٌّ،» هتفَ الشَّبحُ وتربَّعَ على قدمَيه. «أنبوبُ صفيحٍ قلْتَ؟ عندي واحدٌ.»

وبعدَ ذلِكَ جلسَ هودجكينز ما يقاربُ نصفَ اللَّيلةِ وهوَ يصفُ أكثرَ الأدواتِ إثارةً للخوفِ. رسمَ طرقَ صنعِهَا علَى الرَّملِ. وعندَ الفجرِ انتُخبَ الشَّبحُ عضوًا في المستعمرَةِ الملكيَّةِ ولُقِّبَ رسميًّا بـ «مروِّعُ جزيرةِ الرُّعبِ».

«اسْمَعْ،» خاطبْتُه. «أتساءَلُ ما إذا كنْتَ تهتمُّ بالإقامةِ معي؟ يمكنُكَ أنْ تقيمَ في غرفةِ الجلوسِ. ليسَ لأنِّي أخافُ منَ البقاءِ وحدي، لكن منَ الآمنِ دائمًا أنْ يكونَ هناكَ شخصٌ آخرُ في البيتِ.»

«بحقِّ كلابِ الجحيمِ كلِّهَا،» صاحَ الشَّبحُ وقدْ شحُبَ منَ الانزعاجِ. ثمَّ عادَ وهدأَ وأجابَ: «لا بأسَ، شكرًا، هذَا لطفٌ منكَ.»

جهَّزْتُ له سريرًا جيِّدًا من صندوقِ حزمِ أمتعةٍ وطليْتُهُ بدهان أسودِ، ثمَّ زيَّنْتُه بجماجمَ وعِظامٍ باللَّونِ الأخضرِ الباهتِ. وعلَّمْتُ طاسةَ طعامِهِ بكلمةِ «سُمٍّ» (تصرُّفٌ أرضَى مدلر كثيرًا جدًّا).

«مريحٌ للغايةِ،» قالَ الشَّبحُ. «رجاءً لا تنزعجْ إذَا قعقعْتُ قليلًا في منتصفِ اللَّيلِ، إنَّهَا عادةٌ.»

«لا علَى الإطلاقِ،» أجبْتُ. «لكن ليس أكثرَ من خمسِ دقائقَ، ورجاءً ابتعدْ عنْ ترامواي زبدِ البحرِ. إنَّهُ ثمينٌ.»

«حاضرٌ،» وافقَ الشَّبحُ. «إلَّا أنَّني سأقضِي ليلةً كاملةً في الخارجِ عندمَا تأتِي ليلةُ منتصفِ الصَّيفِ.»

7

وصفُ إزاحةِ السِّتارِ المُظفَّرةِ عنِ البرمائيَّةِ، وتجربةُ الغوصِ المثيرةِ بهَا إلى قاعِ البحرِ.

وجاءَتْ ليلةُ منتصَفِ الصَّيفِ وانقضَتْ (في تلكَ العشيَّةِ أنجبَتِ الميمبل أصغرَ بناتِها وسمَّتْهَا ماي، يعني الاسمُ أنَّها أصغرُ مخلوقةٍ في الوجودِ) وتبرعَمتِ الأشجارُ وأزهرَتْ، والأزهارُ أصبَحَتْ برتقالًا، والبرتقالُ أُكِل (أكلَهُ في الغالِبِ جوكستر)، ولا أحد أبدًا وجدَ الوقتَ ليسنَّ قوانينَ الجزيرةِ تلكَ.

أحيانًا خاضَ إدواردُ المنفوخُ البحرَ ميمِّمًا شواطئَنا، صاحَ علينَا كمَا اعتادَ أنْ يفعلَ. وأنا استنبطْتُ حقيقةً فلسفيَّةً تلوَ الأخرَى. وجوكستر لمْ يفعلْ قطُّ شيئًا مميَّزًا، لكنَّهُ قالَ دائمًا إنَّهُ يشعرُ بالارتياحِ. مالَ الشَّبحُ إلى حياكَةِ الجواربِ والأوشحةِ. قالَ إنَّ الطَّقطقةَ والخشخشةَ في الحياكَةِ جيِّدةٌ لتهدئةِ أعصابِهِ.

ثمَّ في أحدِ الأيَّامِ غيرِ المألوفَةِ - يومٌ موحشٌ تُقْتُ فيهِ إلى التَّجوُّلِ حولَ العالَمِ مع جماعةِ الهاتيفاتنر - حدثَ شيءٌ مَا.

دعَانَا هودجكينز إلى اجتماعِ المجلسِ. كانَ يضعُ قبَّعةَ القبطانِ وعلَى وجههِ تعبيرٌ جدِّيٌ. فهمْنَا أنَّ شيئًا مهمًّا قدْ جرَى، وانتظرنَاهُ بصمْتٍ ليبوحَ بما لديهِ.

«يا طاقَمي العتيدَ،» بدأَ هودجكينز بصوتٍ غريبٍ. «هذا يومٌ عظيمٌ. أصبحَتْ أوكسترا المحط الآنَ برمائيَّةً.»

«حقًّا،» هتفَتْ بنتُ الميمبل.

«عفوًا، أصبحَتْ ماذَا؟» سألَهُ مدلر

«عدَّلْتُ بناءَ السَّفينةِ البيتِ. حوَّلْتُها إلى برمائيَّةٍ،» شرَحَ هودجكينز. «البرمائيَّةُ هي غوَّاصةٌ، علَى عجلاتٍ، ومزوَّدةٌ بأجنحةٍ لتطيرَ.»

«أيُّ انتصارٍ!» صحْتُ. «هودجكينز أنتَ مشهورٌ الآنَ!»

«حسنًا. ربَّما لسْتُ مشهورًا، ولكنْ راضيًا.» أجابَ هودجكينز.

أخذَتْ تجربةُ الطَّيرانِ مجرَاها في عصرِ ذلِكَ اليومِ نفسِه. وُضِعت ما كانَتْ سابقًا أوكسترا المحط على منصَّةٍ أمامَ عرشِ الحاكمِ المطلقِ، وغُطِّيتْ بنسيجِ خيامٍ أحمرَ.

«أعتقدُ أنَّ نسيجًا أسودَ أروعُ بكثيرٍ،» قالَ شبحُ الجزيرةِ وهوَ يخشخشُ بحياكتهِ. «أو حتَّى نسيجًا رقيقًا بلونِ الرَّمادِ مثلَ ضبابِ منتصَفِ اللَّيلِ. درجةُ لونِ الرُّعبِ كمَا تعلمونَ.»

«يا لهُ من مِهذارٍ،» علَّقَتِ الميمبل الَّتي أحضرَتْ معهَا جميعَ أطفالِها إلَى الحدثِ. «هللو، يا بنتِي الغاليةَ! تعالَي وشاهدِي آخرَ إخوتِكِ وأخواتِكِ!»

«حبيبتي أمِّي،» ردَّتْ بنتَ الميمبل، «هلْ أنجبتِ المزيدَ منَ الأطفالِ ثانيةً! رجاءً أخبريهم أنَّ أختَهم أميرةٌ مستعمِرةٌ، وهي في طريقِها إلى رحلةٍ حولَ القمرِ بالبرمائيَّةِ.»

تمايلَ أطفالُ الميمبل وهزُّوا رؤوسَهم وحملقُوا.

اختفَى هودجكينز وراءَ النَّسيجِ الأحمرِ ليتفقَّدَ اختراعَهُ لآخر مرَّةٍ. «يجبُ أنْ أختبرَ العادِمَ،» قالَ. «خطبٌ ما في الأنبوبِ. يا جوكسترا! هلَّا صعدْتَ وشغَّلْتَ المروحةَ الكبيرةَ!»

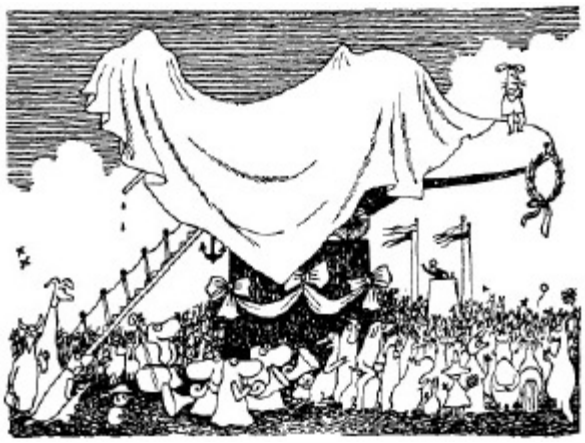

بعدَ فترةٍ سمعْنَا المروحةَ الكبيرةَ تعمل.

في الحالِ تقريبًا طارَتْ كتلةٌ منْ عصيدةِ الشُّوفانِ خارجَ الأنبوبِ، وخبطَتْ هودجكينز في عينِهِ.

«مشهدٌ غريبٌ!» غمغم بشيءٍ منَ الدَّهشةِ.

صاحَ أطفالُ الميمبل بسعادةٍ عارمَةٍ.

«عصيدةُ فطورِنَا،» خاطبَ هودجكينز مدلر بنبرةِ تأنيبٍ.

«معذرةً،» ردَّ مدلر. «لقَدْ تبقَّى القليلُ منهَا لكنَّني بالتَّأكيدِ وضعْتُهُ في إبريقِ الشَّايِ، وليسَ في أنبوبِ العادمِ.»

«مَا المشكلةُ؟» سألَ الحاكمُ المطلقُ. «هلْ نبدأُ بخطابِنَا الافتتاحيِّ، أم أنَّكم أكثرُ انشغالًا مِنْ أنْ تستمعُوا؟»

«أعتقدُ أنَّها بنتي ماي الصَّغيرة منْ فعلَتْ هذَا،» أعلنت الميمبل بابتهاجٍ. «أيُّ شخصيَّةٍ عجيبَةٍ منذُ الآنَ! عصيدةٌ في أنبوبِ العادمِ. يا لهَا من فكرةٍ!»

«لا تأخذِي الأمرَ بجدِّيَّةٍ كبيرةٍ،» قالَ هودجكينز بنبرةٍ متصنِّعةٍ قليلًا.

«هل نبدأُ أم لَا؟» استفسَرَ الملكُ.

«نعم، ابدَأْ رجاءً يا فخامةَ الملكِ،» قلْتُ.

أصدرَ بوقُ الضَّبابِ دويًّا طويلًا، فرقةُ الهيميولن النُّحاسيَّةُ الطَّوعيَّةُ وقفَتْ على أهبةِ الاستعدادِ، وبابا جونز اعتلَى عرشَهُ وسطَ الهتافِ. عندمَا سادَ الصَّمتُ ثانيةً تكلَّمَ:

«يا أتباعِي الأحبابَ بالرُّؤوسِ المُشوَّشةِ! تستدعِي المناسبةُ بضعَ كلماتٍ جدِّيَّةٍ. انظرُوا جيِّدًا إلى هودجكينز؛ مخترعُ المفاجآتِ الملكيُّ التَّابعُ لنا! آخرُ وأعظمُ اختراعٍ لهُ سيُكشَفُ عنهُ بعدَ قليلٍ، وسيبدأُ رحلَتَهُ الرَّائدةَ فوقَ اليابسةِ، ثمَّ عبرَ أعماقِ المحيطِ، وفي الهواءِ. رجاءً استوعبُوا هذَا المشروعَ

الجريْءَ، واحفظُوهُ في مكانٍ مَا فِي أدمغتِكُم المُغبَّشةِ عندمَا تقفزُون هُنَا وهُنَاكَ، وتمضُونَ أوقاتَ اليومِ كعادتِكُم. ما زلْنَا نتوقَّعُ أشياءَ عظيمةً منكُمْ يَا أعزائِي أصحابَ العقولِ الفوضويَّةِ. حاولُوا أنْ تنشرُوا القليلَ منَ الشَّرفِ والفخرِ في مملكتِنَا مستقبلًا، وإذَا لمْ تستطيْعُوا فعلَ ذلِكَ، امنحُوا في أدنَى الأحوالِ بطلَ اليومِ أفضلَ هتافٍ لديكُم.»

هتفَ النَّاسُ وهلَّلُوا بحماسةٍ. وبدأَتْ فرقةُ الهيميولن بعزفِ موسيقَى الفالز المفضَّلةِ لدَى بابا جونز، ووسطَ وابلٍ منَ الورودِ واللَّآلئِ اليابانيَّةِ صعدَ هودجكينز إلى المنصَّةِ، وسحبَ الحبلَ الحريريَّ.

سقطَ النَّسيجُ الأحمرُ على الأرضِ.

كانَتْ لحظةً عظيمةً.

حوَّلَتْ فرقةَ الهيميولن عزفَهَا إلى النَّشيدِ الوطنيِّ (معَ لازمةِ: فوجئْتُم أليسَ كذلِكَ؟) والميمبل بطبيعتِهَا في سرعةِ التَّأثُّرِ بكَتْ بفيضانٍ منَ الدُّموعِ.

لمسَ هودجكينز قمَّةَ قبَّعتهِ عدَّةَ مرَّاتٍ، ثمَّ صعدَ إلى البرمائيَّةِ وتبعَهُ أعضاءُ المستعمَرَةِ الَّتي بِلا قانونٍ (والورودُ واللَّآلئُ اليابانيَّةُ ما زالَتْ تنهالُ علينَا)، والمساحةُ المتبقيةُ مِنْ مَا كانَتْ سابقًا أوكسترا المحط سرعانَ مَا اكتظَّتْ بصغارِ الميمبل.

«عفوًا،» صاحَ مدلر فجأةً وقفزَ عائدًا إلى الجسرِ المؤقَّتِ. «ربَّاهُ، لا أجرُؤُ! ليسَ في الهواءِ، سيعاودُنِي الغثيانُ!» وتراجعَ مختفيًا بينَ الحشودِ.

بعدَ لحظةٍ بدأَتِ البرمائيَّةُ تهتزُّ. المحرِّكاتُ دوَّتْ، أُغلِقَ البابُ وثُبِّتَ، ثمَّ بقفزةٍ مفاجئةٍ غادرَتِ السَّفينةُ المنصَّةَ، وأبحرَتْ فوقَ قممِ الأشجارِ في حديقَةِ المفاجآتِ.

«نحنُ نحلِّقُ! نحنُ نحلِّقُ!» صاحَ جوكستر.

صحيحٌ، في لحظةٍ كنَّا نطيرُ في الهواءِ، وفي اللَّحظةِ التَّاليةِ انزلَقْنَا فوقَ الأمواجِ، نحرثُ في طريقِنَا الرَّغوةَ البديعةَ.

«تمسَّكُوا الآنَ،» هتفَ هودجكينز. «ها نحنُ نغوصُ،» أردفَ وهوَ يسحبُ مقبضًا.

فجأةً شعَّتِ البرمائيَّةُ بضوءٍ أخضرَ، وتوجَّهَتْ أسرابٌ من فقاعاتِ الماءِ للرقصِ عبرَ فتحاتِها.

«لنْ نخرجَ منْ هُنَا أبدًا،» أزَّتْ ماي الصَّغيرةُ.

ضغطْتُ أنفي على الزُّجاجِ الباردِ، وأخذْتُ أتفحَّصُ البحرَ.

كان هودجكينز قد شغَّلَ الأضواءَ الأماميَّةَ، فتحرَّكْنَا خلالَ الأعماقِ الخضراءِ في دائرةٍ منَ الضَّوءِ.

«هلِ السَّمكُ نائمٌ؟» تساءَلَ جوكستر.

«إنَّهُ خائفٌ،» أجابَ هودجكينز. «انتظرُوا قليلًا.»

انتظرْنَا. بعدَ برهةٍ قصيرةٍ جاءَ طفلُ سمكةٍ يسبحُ خارجَ الخضرَةِ القاتمةِ نحوَ الضَّوءِ. بدَا متردِّدًا، ثمَّ اتَّجهَ نحوَ البرمائيَّةِ وتشمَّمهَا باهتمامٍ كبيرٍ.

كانَ يُعلّق بأنفِه فانوسًا صغيرًا.

لماذَا لا يضيئُهُ؟» تعجَّبَتِ الميمبل.

«ربَّما بطاريَّتُه فارغةٌ،» قالَ هودجكينز. «هناكَ سمكةٌ أخرَى!»

في دقائقَ قليلةٍ أخذَتْ عشرات منَ السَّمكِ الصَّغيرِ تحتشدُ من حولِنَا. ثمَّ ظهرَتْ ثعابينُ بحرٍ فتيَّةٌ وبضعُ حوريَّاتِ بحرٍ، وأخيرًا أقبلَ ضفدعٌ بحريٌّ يضعُ نظَّاراتٍ طبيَّةٍ كبيرَةٍ ودفعَ أنفَهُ في إحدَى فتحاتُ النَّوافذِ.

«هلْ هُم بُكمٌ؟» تساءلْتُ.

«لحظةً فقط،» استمهلَنِي هودجكينز وأدارَ مقبضًا في جهازِهِ اللَّاسلكيِّ الخاصِّ. سمعْنَا خشخشةً، ثمَّ سمعْنَا الضِّفدعَ البحريَّ يتكلَّمُ.

«أنا مقتنعٌ تمامًا منْ أنَّ هذَا الشَّيءَ يذكِّرُنِي كثيرًا بالحيتان،» قالَ الضِّفدعُ بأسلوبٍ استنتاجيٍّ اكتسبَهُ منَ السِّباحةِ وحيدًا خلالَ مئتينِ وعشرِ سنواتٍ.

«لكنْ يَا للحِميةِ المضحكةِ الَّتي يتَّبعُهَا،» قالَ طفلُ السَّمكةِ. «انظرُوا إلى السَّمكةِ الشَّاحبةِ ذاتِ الأنفِ الطَّويلِ الَّتي ابتلعَها! سيُعانِي منَ الكوابيسِ اللَّيلةَ!»

«إنَّهُ يقصدُكَ،» قالَ جوكستر وربَّتَ ظهرِي بمودَّةٍ. «يظنُّ أنَّكَ أغربُ سمكةٍ هَنا.»

«الزمِ الهدوءَ، ثعبانُ البحرِ يتحدَّثُ،» قلْتُ.

«سأتفاجَأُ إذَا كانَ هذَا الحوتُ يملكُ أيَّ وقتٍ علَى الإطلاقِ ليهضمَ تلكَ السَّمكةَ الآنَ،» قالَ الثُّعبانُ. «حوتٌ يشعُّ بالضَّوءِ حقًّا. سيُقبَضُ عليهِ عاجلًا أو آجلًا.»

«المرءُ يسألُ نفسَهُ بتخوُّفٍ حتميٍّ أهذَا الاستعراضُ ناتجٌ عنِ الغباءِ أو ناتجٌ عنِ التَّمرُّدِ،» قالَ الضِّفدعُ. «في الوقتِ نفسِهِ علَى المرءِ أنْ يقرَّ بأنَّ التَّأثيرَ ممتعٌ جدًّا للعينِ. أخشَى أنَّ نظارَتِي لَا تسمحُ لِي فعلًا أنْ أقدِّرَ الإضاءَةَ حقَّ تقديرٍ. لكنْ كونِي مواطنًا ملتزمًا بالقانونِ أسألُ نفسِي مَا مقدارُ الشُّحنةِ الكهربائيَّةِ الَّتي معَهُ.»

«عنْ أيِّ شيءٍ يتحدَّثُ؟» استفهمَتِ الميمبل.

«يبدُو أنَّ لديهم قانونَ إضاءَةٍ مَا،» نخرَ جوكستر. «واضحٌ أنَّه غيرُ مسموحٍ لكَ أنْ تضيءَ المصابيحَ الَّتي على خطمِكَ.»

«منتَهى العقلانيَّةِ،» علَّق شبحُ الجزيرةِ. «ليلةُ المصيرِ تحجبُ المقبرةَ بأكفانٍ سوداءَ. والأطيافُ القاتمةُ ترفرِفُ في العتمَةِ. فكرةٌ جيِّدةٌ.»

في الحقيقةِ، كانَتْ جميعُ مخلوقاتِ البحرِ تحملُ فانوسًا غيرَ مضاءٍ. وشكَّلَتْ حشدًا كثيفًا حولَ البرمائيَّةِ، وبدَا عليهَا أنَّها مستمتعةٌ بأضوائِنَا.

«لنْ يدومَ،» قالَتْ سمكةُ قدٍّ. «كلبُ البحرِ المتوحِّشُ سيأتِي حتمًا.»

تململَ الحشْدُ باضطرابٍ، واختفَى السَّمكُ الصَّغيرُ.

«أينَ يقومُ بالقنصِ اللَّيلةَ؟» سألَ الثُّعبانُ بقلقٍ.

«سمعْتُهُ في الأجزاءِ الغربيَّةِ قبلَ المساءِ،» أجابَ شبحُ بحرٍ. «كانَ هناكَ خنزيرُ بحرٍ يحملُ فانوسًا مُضاءً. وقدِ التهمَهُ طبعًا.»

«إنَّهم راحلُون،» قلْتُ. «أفزعَهم شيءٌ مَا.»

«سنُؤكَلُ،» صاحَتْ ماي الصَّغيرةُ.

«يُستحسِنُ أنْ أضعَ الأطفالَ في السَّريرِ،» أشارَتِ الميمبل. «هيَّا بسرعةٍ يَا أولادِي!»

شكَّلَ أطفالُها حلقةً ليساعدُوا بعضَهم بأزرارِ ثيابِهم الخلفيَّةِ.

«احسبُوا عددَكم اللَّيلةَ بأنفسِكم،» قالَتِ الميمبل. «هذهِ الإثارةُ أصابَتْنِي بالإعياءِ.»

«ألنْ تقرَئِي لنَا؟» صاحَ الأطفالُ.

«نعم، طبعًا،» ردَّتِ الميمبل. «أينَ توقَّفْنَا آخرَ مرَّةٍ؟»

صاحَ الأطفالُ معًا بصوتٍ واحدٍ: «هذَا - مِنْ - عمَلِ - الأعوَرِ - بوب - الدَّمويِّ - أشارَ - المفتِّشُ - تويغز - وهوَ - ينتزعُ - مسمارًا - بطولِ ثلاثةِ - إنشاتٍ - منْ - أذنِ - الجثَّةِ - الَّتي - لا بدَّ - مِنْ - أنَّها - تعرَّضَتْ - للحادِثِ.»

«أعرِفْ، أعرِفْ،» قالَتِ الميمبل. «هيَّا بسرعَةٍ إلَى السَّريرِ الآنَ، وسنتلُو الصَّلاةَ أوَّلًا.»

في تلكَ اللَّحظةِ بالضَّبطِ لمحْنَا كلبَ البحرِ عندَ جانِبِ البرمائيَّةِ الأيمنِ.

بدَا منظرُه مروِّعًا للغايةِ بحيثُ أطفأَ هودجكينز الأضواءَ كلَّها في الحالِ.

إلَّا أنَّ ذهولَه كانَ عظيمًا جدًّا إلى درجةِ أنَّهُ عجزَ عنِ التَّعاملِ معَ البرمائيَّةِ بطريقةٍ سليمةٍ، وبدلًا منْ أنْ يرتفِعَ بهَا إلى السَّطحِ، غاصَتِ البرمائيَّةُ مثلَ حجرٍ إلى قاعِ البحرِ، وبدأَتْ تزحفُ إلى الأمامِ على سلاسِلهَا المجنزَرةِ.

احتكَّتْ أعشابُ البحرِ بجانبَيِّ السَّفينةِ، وتشبَّثَتْ بفتحَاتِ المنافذِ مثلَ أصابعَ فظيعةٍ. في الظُّلمَةِ السَّاكنةِ سمعْنَا لهاثَ كلبِ البحرِ الَّذي يطاردُنَا. ثمَّ ظهرَ لنَا خطمُهُ الرَّماديُّ وشارباهُ الطَّويلَانِ المتهدِّلانِ، وعينَاهُ الصَّفراوانِ الشِّرِّيرتانِ تتَّقدانِ في وجههِ بشكلٍ مروِّعٍ. كانتَا مثلَ ضوءٍ كشَّافٍ عثرَ علَى البرمائيَّةِ وحاصرَهَا...

«تحْتَ الأغطيةِ يا أطفالُ!» زعقَتِ الميمبل. «ها هو يأتِي!»

حدثَ اصطدامٌ والتواءٌ مسبِّبٌ للغثيانِ منَ الخلفِ. كانَ كلبُ البحرِ قدْ بدأَ ينهشُ في الدَّفةِ.

وتبعَ ذلِكَ انقلابٌ فظيعٌ. فجأةً ارتفعَ ذيلُ البرمائيَّةِ ثمَّ رُميَتْ على ظهرِها، أعشابُ البحرِ الطَّليقةُ هامَتْ حولَنا في الماءِ المزبدِ، وكتمَ الصَّخبُ السَّائدُ والهديرُ صراخَنا المجنونَ. قُذفْنَا رأسًا علَى عقبٍ، انفتَحَتْ أبوابُ الخزائنِ كلُّها، وطارَتِ الآنيةُ الفخاريَّةُ وتحطَّمَتْ واختلطَتْ علَى الأرضِ معَ الشُّوفانِ المجروشِ والأرزِ والشَّاي وأحذيَةِ الأطفالِ والصُّوفِ وصنانيرَ الحياكَةِ وتبغ جوكستر. ومنَ الخارجِ جاءَنَا عواءٌ وزئيرٌ مخيفٌ يجمِّدُ الدَّمَ في العروقِ، وتقشعرُّ منهُ الأبدانُ.

ثمَّ عمَّ السُّكونُ.

سكونٌ بالغٌ.

«يا ويلِي يا ويلِي يا ويلِي،» غمغمَتِ الميمبل. «كمْ بقيَ منْ أطفالِي؟ احسبِي عددَهم يا بنتِي الغاليةَ!»

إنَّما حتَّى قبلَ أنْ تشرعَ بنتُ الميمبل في مهمَّتِها، سمعْنَا صوتًا رهيبًا نعرفُهُ حقَّ المعرفةِ يزمجرُ: «هَا أنَا أرَى! أنتمْ هُنا، أنتمْ يَا خِرقَ الصُّحونِ! بحقِّ كلِّ مَا

ينتَمِي إلى الغروك! أظننْتُم أنَّكُم قادرونَ علَى الهروبِ منِّي، ماذَا؟ تنسونَ دائمًا أنْ تخبرونِي إلى أينَ أنتمْ ذاهبونَ، أليسَ كذلِكَ؟»

«مَنْ ذاكَ الآن؟» استفسرَتِ الميمبل.

«سأعطيكِ ثلاثةَ تخميناتٍ،» قالَ جوكستر.

ثمَّ دفعَ إدوارد المنفوخُ رأسَه تحتَ الماءِ ونظرَ إلينَا من فتحةِ نافذةٍ. وبادلْنَاهُ النَّظرَ بقدرِ ما أُتيحَ لنَا من رباطةِ جأشٍ، ثمَّ لاحظْنَا بضعَ أشلاء صغيرةٍ من كلبِ البحر المتوحّش تعومُ من حولِنَا: بقايا ذيلٍ، بقايا شاربَين، وبعضُ الأوصال المسطَّحةِ. وهذَا لأنَّ إدوارد المنفوخُ صدفَ أنْ داسَ عليهِ.

«إدوارد! يا صديقِي الحقيقيَّ!» هتفَ هودجكينز.

«لنْ ننسَى صنيعَكَ هذَا! لقدْ أنقذْتَنَا في اللَّحظةِ الأخيرةِ!» قلْتُ.

«امنحُوا الرَّجلَ النَّبيلَ قبلةً يا أطفالُ،» ناحَتِ الميمبل وأجهشَتْ بالبكاءِ.

«ما ذاكَ؟» قالَ إدوارد المنفوخُ. «لا أطفال رجاءً. هم دائمًا يدخلونَ في أذنِي. أنتم يا بعوضُ! لقدْ سحقْتُ أصابعَ قدمِي وأنَا أبحثُ عنكم في كلِّ مكانٍ، وهَا أنتم تثرثرونَ بِلا معنًى كالمعتادِ.»

«لقَدْ دسْتُ على كلبِ البحرِ المتوحِّشِ!» صاحَ جوكستر.

«ها؟» زعقَ المنفوخُ وقفزَ مجفلًا. «ضحيَّةٌ أخرَى من جديدٍ؟ صدِّقونِي هذَا ليسَ ذنبِي. وأنَا حقًّا لا أملكُ أيَّ مالٍ لمزيدٍ منَ الجنازاتِ...»

ثمَّ تابعَ بصوتٍ غاضبٍ: «على أيِّ حالٍ، لماذَا لا تبقونَ كلابَكم القديمةَ بمنأًى عن طريقِ الأذَى! أنا ببساطةٍ أرفضُ دفعَ تكاليفِ الجنازةِ.»

وهكذَا مضَى إدوارد المنفوخُ يخوضُ الماءَ. بدَا متألِّمًا كثيرًا جدًّا. بعدَ فترةٍ التفَتَ وصاحَ: «سآتي من أجلِ الشَّاي في الصَّباحِ، ولا أريده خفيفًا!»

فجأةً حدثَ شيءٌ مَا.

انتشرَ الضَّوءُ في البحرِ كلِّه.

«نحنُ نحترقُ،» همسَتْ ماي الصَّغيرةُ.

لكنْ من كلِّ حدبٍ وصوبٍ أقبلَتْ ملايين البلايين من حشودِ السَّمكِ ومعَها فوانيسُ مضاءةٌ، وأضواءٌ كشَّافةٌ، ومصابيحُ جيبٍ، وعيونُ ثيران، ولمباتٌ ومصابيحُ غاز. الضِّفدعُ البحريُّ حملَ قوسًا مضيئًا في كلِّ أذنٍ، وهتف الجميعُ كالمجانين.

شعَّ البحرُ الكئيبُ بشقائقِ النُّعمانِ البحريَّةِ الحمراءِ والأرجوانيَّةِ وذاتِ الصُّفرةِ المعدنيَّةِ، والثَّعابين تلوَّتْ وتشقلَبَتْ.

أبحرْنَا إلى الدِّيارِ مزهوِّينَ بانتصارِنَا، اجتزْنَا المحيطَ طولًا وعرضًا، ولمْ نعرفْ مطلقًا هلِ الأضواءُ الَّتي أشرَقَتْ من خلال نوافذِنَا كانَتْ نجومًا أو سمكًا. قُبيلَ الصَّباحِ لمحْنَا جزيرتَنَا ثانيةً، وآنذاكَ شعرَ معظمُنَا بالنُّعاسِ يراودُهُ.

8

وفيهِ أستعرضُ ظروفَ زواجِ مدلر الفوضويِّ، وكذلِكَ أتطرَّقُ في الحديثِ إلى اللَّيلةِ الحاسمةِ عندمَا قابلْتُ ماما مومين لأوَّلِ مرَّةٍ، وأخيرًا كتابةُ الكلمات الأخيرة المميَّزةِ لمذكَّراتِي.

علَى بعدِ عشرةِ أميالٍ (بحريَّةٍ) منَ السَّاحلِ لمحْنَا زورقًا يرفعُ إشارةَ خطرٍ. «إنَّهُ الحاكمُ المطلقُ،» قلْتُ بصوتٍ مصدومٍ. «أتظنُّونَ أنَّ هناك ثورةً في هذَا الوقتِ المبكِّرِ منَ الصَّباحِ؟»

«ثورة؟» هتفَ هودجكينز وبدَّل حركةَ البرمائيَّةِ إلى سرعةٍ كاملةٍ. «عسَى أنْ يكونَ ابنُ أخِي بمأمنٍ.»

«ماذَا هناكَ؟» صاحَتِ الميمبل عندَمَا وصلْنَا إلى الزَّورقِ الَّذي توقَّفَ على مقربةٍ منَّا.

«هناكَ؟ ماذَا!» ردَّ بابا جونز بانزعاجٍ. «كلُّ شيءٍ هناكَ. أعنِي هناك لغطٌ غير محمود. عليكم أنْ تعودُوا إلى الدِّيارِ حالًا.»

«هلِ استخلصَتِ العِظامُ المَنسيَّةُ انتقامَها أخيرًا؟» استفسرَ شبحُ الجزيرةِ والأملُ يراودُهُ.

«إنَّهُ صاحبُكم مدلر ثانيةً،» لهثَ الحاكمُ المطلقُ وهوَ يتسلَّقُ إلى البرمائيَّةِ. «ليهتمَّ أحدكُم بالزَّورقِ! جئْنَا لنقابلَكُم بأنفسِنَا لأنَّنا لا نثقُ بأيٍّ من أتباعِنا.»

«مدلر الفوضويَّ؟» صاحَ جوكستر.

«بالضَّبط،» أجابَ الحاكمُ المطلقُ. «طبعًا ليس لدينا أيُّ اعتراضٍ على الزَّواجِ، لكنَّنا لا نستطيعُ تحمُّلَ سبعةِ آلافِ مُقرمشٍ وعمَّةٍ همجيَّةٍ في مملكتِنَا.»

«مَن سيتزوَّجُ؟» سألَتِ الميمبل.

«مدلر يا سخيفةً،» أجابَ الحاكمُ المطلقُ.

«مستحيلٌ،» هتفَ هودجكينز.

«مستحيلٌ أو غيرُ مستحيلٍ، الزَّفافُ اليوم،» وضَّحَ بابا جونز.

«ومَنِ العروسُ؟» صحْتُ عاجزًا عن إخفاءِ دهشَتِي.

«زغبية،» قالَ الملكُ. «هيّا بِأقصَى سرعةٍ إلى الأمامِ رجاءً! حسنًا لقدْ وقعَا في الحبِّ من أوَّلِ نظرةٍ، وكانَا يتبادلَانِ الأزرارَ، ويعدوانِ هنَا وهناك بأيدٍ متشابكةٍ، ويتصرَّفانِ بسخافةٍ منذُ ذلكَ الحينِ، والآنَ أرسلًا برقيَّةً إلى عمَّةٍ مَا (إلَّا أنَّ مدلر يقولُ إنَّها علَى الأرجحِ قدْ فُرمَتْ) وإلى سبعةِ آلافِ مُقرمشٍ يدعوَان الجميعَ فيها إلى حضورِ الزَّفافِ. وطبعًا مملكتُنا في خطرٍ مميتٍ. المُقرمشونَ يفرمونَ أيَّ شيءٍ! ناولُونَا قدحَ نبيذٍ رجاءً!»

«أيُعقلُ أنَّهما دَعيا عمَّةَ الهيميولن؟» تساءَلْتُ مصدومًا للغايةِ، وناولْتُ الملكَ مشروبَهُ.

«أفترضُ ذلِكَ،» أجابَ. «الصَّفقةُ تتضمَّنُ عمَّةً بنصفِ أنفٍ وذاتِ مزاجٍ عكرٍ. نحنُ نحبِّذُ المفاجآتِ حتمًا، لكنَّنَا نحبُّ تحضيرَهَا بأنفسِنَا.»

كنَّا نقتربُ منَ السَّاحلِ.

في نهايةِ الرَّصيفِ رأيْنَا مدلر يقفُ والزَّغبية إلى جانبِه.

«حسنًا؟» همهَمَ هودجكينز وهو يرسُو عند الرَّصيفِ.

«معذرةً!» صاحَ مدلر. «لقدْ تزوَّجْتُ!»

«وأنَا أيضًا!» ردَّدَتِ الزَّغبية وانحنَتْ مُحيِّيةً.

«لكنْ طلبْنَا منكمَا الانتظارَ إلى ما بعد الظُّهرِ، ألمْ نفعلْ؟» هتفَ الملكُ. «لقدْ أفسدْتُما الآنَ حفلةَ الزَّفافِ الكبيرةِ!»

«اعذرْنَا، رجاءً، لمْ نستطعِ الانتظارَ،» قالَ مدلر. إنَّنا متيَّمانِ ببعضِنَا كثيرًا جدًّا!»

«يا عجَبي، يا عجَبي!» صاحَتِ الميمبل، وأسرعَتْ على طولِ الجسرِ المؤقَّتِ. «أتمنَّى لكما حظًّا سعيدًا! يا للزّغبية المنمنمةِ اللَّطيفةِ! هيَّا يا أطفالُ اهتفُوا لهمَا ثلاثَ مرَّاتٍ، لقد تزوَّجَا!»

«حسنًا، لقد تجاوزَا مرحلةَ أيِّ مساعدةٍ الآنَ،» غمغمَتْ ماي الصَّغيرةُ.

❁ ❁ ❁

عندَ هذَا المقطعِ قاطعَ سنيف بابا مومين، إذ انتصبَ في سريرهِ وصاحَ: «توقَّفْ!»

«بابا يقرأُ عن شبابِه،» قالَ مومين ترول مؤنِّبًا.

«وعن شبابِ أبِي،» ردَّ سنيف بجدِّيَّةٍ غيرِ متوقَّعةٍ. «لقد سمعتُ إلى الآن الكثيرَ عن مدلر. لكنْ هذهِ أوَّلُ مرَّةٍ أسمعُ فيهَا عن زغبيةٍ مَا!»

«نسَيْتُ إخبارَكَ،» انبرَى بابا مومين يقولُ بصوتٍ مغمومٍ.

«نسيتَ أمِّي!» زعقَ سنيف.

في هذهِ اللَّحظةِ فُتِح بابُ غرفةِ النَّومِ، وأطلَّتْ منهُ ماما مومين.

«لمْ تنامُوا بعد؟» استفسرت مستهجنة. «أسمعْتُ من يصيح مناديًا أمّه؟»

«نعم أنَا،» زمجرَ سنيف وقفزَ خارجَ سريرهِ. «فكِّرُوا في هذا فقط! سمعْنَا الكثيرَ والكثيرَ عن آبائِنا، ثمَّ فجأةً يعلمُ المرءُ أنَّ لديهِ أمًّا أيضًا!»

«بيدَ أنَّ هذا أمرٌ طبيعيٌّ، أليسَ كذلك؟» خاطبته ماما مومين بصوتٍ رقيقٍ. «ألسْتَ مسرورًا لأنَّكَ عرفْتَ عن أمِّكَ يا سنيف؟»

«مسرورٌ؟» ردَّدَ سنيف ووقفَ في وسطِ أرضيَّةِ الغرفةِ. اختفَى تجهمُه. حملقَ في بابا مومين، وفجأةً صاحَ: «طبعًا أنا سعيدٌ! أكانَتْ هيَ أيضًا تملكُ مجموعةَ أزرارٍ؟»

«نعم،» أجابَ بابا مومين.

«لحظةً رجاءً،» تدخَّلَ سنفكين. «أيحتملُ أنَّني أنا أيضًا كان لدي أش.. أت.. أأ.. أمّ؟»

«أوه، نعم، نعم، بالتَّأكيد،» هتفَ بابا مومين. «كنتُ أهمُّ بالمجيءِ على ذِكرِ هذَا. يا إلهِي، نعم، إنَّها الميمبل طبعًا!»

«إذًا ماي الصَّغيرة أختِي،» قالَ سنفكين بصوتٍ متعجِّبٍ.

«بالتَّأكيدِ، بالتَّأكيدِ،» أجاب بابا مومين. «لكنْ يا أطفالِي الأعزاءَ، اسمحُوا لي أنْ أنهيَ هذا الفصلَ. فهذهِ في نهايةِ المطافِ مذكَّراتِي كما تعلمونَ، وأنا لسْتُ بارعًا كثيرًا في علمِ الأنسابِ!»

«أيمكنُه أنْ يكملَ؟» سألَهما مومين ترول.

«لا بأس،» وافقَ كلًّا من سنيف وسنفكين.

«شكرًا،» قالَ بابا مومين، والتفَتَ إلى متابعةِ القراءةِ.

❁ ❁ ❁

تلقَّى مدلر والزّغبية هدايا الزَّفافِ طوالَ اليومِ. وفي النِّهايةِ امتلأتْ صفيحةُ القهوَةِ إلى حافَّتِها، وبقيَّةُ الأزرارِ والأحجارُ والأصدافُ ومقابضُ الأبوابِ وأشياءُ أخرَى (تفوقُ التَّعدادَ) اضطرا إلى تكويمها قربَ الصَّفيحةِ.

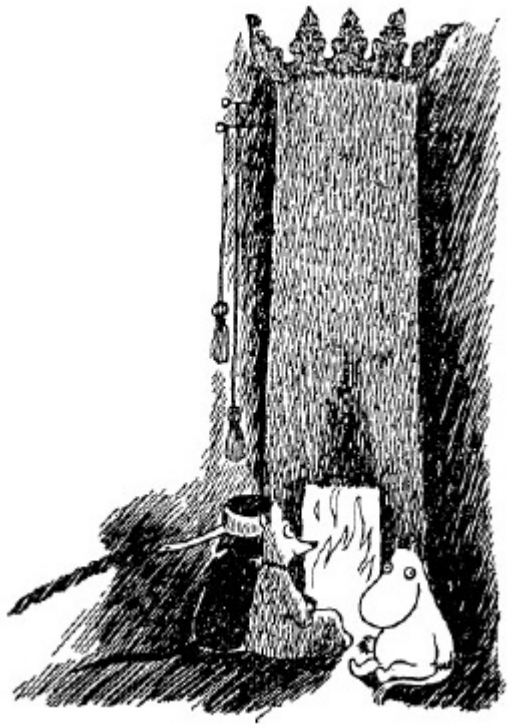

قعدَ الزَّوجانِ السَّعيدانِ علَى الكومةِ بأيدٍ متشابكةٍ. «إنَّهَا عظَمَةٌ أنْ يكونَ المرءُ متزوِّجًا.» هتفَ مدلر.

«ربَّما،» قالَ هودجكينز. «لكن اسمعَا رجاءً. مجرَّدُ تساؤل بسيطٍ. لماذَا دعوتُمَا عمَّةَ الهيميولن؟ ولماذَا دعوتُمَا المُقرمشينَ؟»

«معذرةً، أنا خشيتُ كثيرًا أنْ أجرحَ مشاعرَهم،» قالَ مدلر.

«لكنَّ العمَّةَ؟» صحْتُ.

«حسنًا، لأكونَ صريحًا أنا لم أفتقدْهَا كثيرًا. مع ذلك اعذرونِي! لديَّ مثل ذلكَ الشُّعورِ بالذَّنبِ! أتتذكَّرونَ، تمنَّيتُ أنْ يسديَ إلينَا أحدٌ ما معروفًا ويأكلَها؟»

«أهممفف،» همهم هودجكينز. «نعم، فهمْتُ.»

في اليومِ التَّالِي، عندمَا أصبحَ المركبُ الحزمةُ على وشكِ الوصولِ، عجَّ الرَّصيفُ والتِّلالُ والشَّاطئُ بأتباعِ الملكِ. ووضِعَ عرشُ بابا جونز على أعلى تلَّةٍ، وفرقةُ الهيميولن النُّحاسيَّةُ انهمكَتْ تلمِّعُ آلاتِها.

جلسَ مدلر والزّغبية بيدَين متشابكتَينِ في مركبِ زفافٍ خاصٍّ، صُمِّمَ على شكلِ بجعَةٍ.

كانَ كلُّ فردٍ يشعرُ بالحماسةِ والقليلِ منَ الاضطرابِ، لأنَّ الإشاعاتِ عنْ طاقةِ عمَّةِ الهيميولن وإحساسِها الرَّهيبِ بالواجبِ انتشرَتْ كالنَّارِ في الهشيمِ عبرَ المملكةِ. زيادة علَى ذلِكَ تساءَلَ الجميعُ ما إذَا كانَ المُقرمشونَ سيقوِّضونَ البلادَ، ويفرمونَ الغابةَ إلى قطعٍ. لكن لا أحد قالَ كلمةً عمَّا يعتملُ في نفسِهِ من مخاوفَ للعروسَينِ اللذين جلسَا بسلامٍ يصنِّفانِ الأزرارَ في مركبِهِمَا.

«ربَّما يمكنُ أنْ نخيفَها بخدعةِ الخيطِ والصَّمغِ؟» اقترحَ شبحُ الجزيرةِ. كانَ آنذاكَ يطرِّزُ الجماجمَ على غطاءِ إبريقِ شاي للزّغبية.

«ليسَ هيَ،» أجبْتُهُ.

«ستكونُ لدينا مسابقة ضربٍ قبلَ حلولِ المساءِ،» تنبَّأَ جوكستر. «ومنَ المحتملِ كثيرًا أن تبقَى إلى الشِّتاءِ، وترغمنا على ممارسة التَّزلُّجَ على الجليدِ.»

«ما ذاك؟» سألَتْهُ بنتُ الميمبل.

«إنَّها طريقةٌ للتغلُّبِ على صعوباتِ الاحتكاكِ برواسبِ الغلافِ الجويِّ،» فسَّرَ هودجكينز.

«يا ربِّي،» غمغمَتِ الميمبل.

«سنموتُ من ذلِكَ،» أعلنَتْ ماي الصَّغيرةُ.

ثمَّ علَتْ صيحةٌ عظيمةٌ منَ الحشودِ.

كانَ المركبُ الحزمةُ يقتربُ.

استهلَّتْ فرقةُ الهيميولن العزفَ بنشيدِ «أنقِذُوا شعبَنا السَّخيفَ» وانطلقَتْ بجعةُ الزَّفافِ نحو البحرِ. سقطَ طفلَا ميمبل في الماءِ من شدَّةِ الإثارةِ، والأبواقُ الضَّبابيَّةُ صوَّتَتْ، وفقدَ جوكستر أعصابَهُ وولَّى هاربًا.

حينذاك فقط لاحظْنَا أنَّ المركبَ الحزمةَ فارغٌ، وفجأةً أدركْنَا أنَّهُ ليسَ منَ الممكنِ أنْ يحملَ ما هو بحدودِ سبعةِ آلافِ مُقرمشٍ. صيحاتُ الارتياحِ المختلطةُ بخيبةِ الأملِ تردَّدَتْ على طولِ الشَّاطئِ.

قفزَ منَ المركبِ مُقرمشٌ واحدٌ إلى بجعةِ الزَّفافِ الَّتي استدارَتْ عائدةً إلَى رصيفِ الميناءِ.

«مَا هذَا؟» قالَ الحاكمُ المطلقُ الَّذي مَا عادَ قادرًا على ملازمةِ عرشِهِ. «حفلةٌ أخرَى أُفسِدَتْ! مُقرمشٌ واحدٌ فقط!»

«هذا مقرمشُنَا المعهودُ،» قلْتُ. «وهو يحملُ رزمةً كبيرةً.»

«لقدْ أكلوهَا إذًا،» استنتَجَ هودجكينز.

«صمتٌ! سكوتٌ! سكوتٌ!» صاحَ بابا جونز، ونفخَ بوقَه الضَّبابيِّ. «أفسحُوا الطَّريقَ لسفير المُقرمشين!»

أفسحَ الحشدُ الطَّريقَ للعروسَينِ وللمُقرمشِ الَّذي تهادَى باستحياءٍ متوجِّهًا نحوَنا، ثم وضعَ الرُّزمةَ على الأرضِ. كانَتْ أطرافُها وزواياها مقضومةً قليلًا ولكنَّهَا ما زالَتْ بحالةٍ جيِّدةٍ.

«حسنًا، والآن؟» تساءل الحاكمُ المطلقُ.

«عمَّةُ الهيميولن تبلِّغُكم تحيَّاتِها...» قالَ المُقرمشُ وهو يفتِّشُ في جيوبِ بنطلونه بجنونٍ. تململْنَا كلُّنا من نفادِ الصَّبرِ.

«استعجلْ رجاءً،» حثّه الملكُ.

أخيرًا عثرَ المقرمشُ على رسالةٍ مكرمشةٍ، فرَدَهَا وبدأَ بجهدٍ جهيدٍ يقرأُ مَا وردَ فيهَا: «أطفالِي الأعزاء،

معَ الأسفِ العميقِ، والشُّعورِ بالذَّنبِ والإحساسِ بأنَّني فشلْتُ في أداءِ واجبِي، أكتبُ لكم هذهِ الرِّسالةَ. أنَا حقًّا لسْتُ قادرةً على حضورِ الزَّفافِ، وأدركُ أنَّني قدْ لا أستطيعُ حتَّى أنْ آملَ بمغفرتِكم. صدِّقُوني، سعدْتُ كثيرًا وطربْتُ لسماعِي أنَّكم مشتاقونَ لرؤيتِي ثانيةً، وقدْ ذرفْتُ سيولًا منْ دموعِ البهجةِ، وتأثَّرْتُ لمَّا علمْتُ عنْ قرارِ مدلر الصَّغيرِ باتِّخاذِ واحدةٍ من أهمِّ الخطواتِ في الحياةِ. أطفالي الأعزاء، أنا حقًّا لا أدري كيفَ أشكرُكُم، لأنَّكم أوَّلًا أنقذتمونِي منَ الغروك، وثانيًا لأنَّكم عرَّفتمونِي بالمُقرمشينَ الرَّائعينَ. ومن واجبِي أنْ أطلعكَم على الحقيقةِ الصَّرفِ: أنا والمقرمشون نستمتعُ معًا كثيرًا جدًّا بحيثُ إنَّ ولا حتَّى حفلة الزَّفافِ يمكنُ أنْ تبعدَنا عنِ البيتِ. نحن نقومُ بمسابقاتِ ضربٍ يوميًا لعدَّةِ ساعاتٍ بلا توقُّفٍ، ونتطلَّعُ بشوقٍ إلى الشِّتاءِ وتمارينِهِ الصِّحيَّةِ على الثَّلجِ. أنَا، على أيِّ حالٍ، لأعوِّضَ عليكم خيبةَ أملكُم بعدم حضوري، أرسلُ لكم هديَّةَ زفافٍ ثمينةٍ. وآملُ أنْ يجدَ لهَا مدلر مكانًا دائمًا في صفيحتِهِ. مع تحيَّةً 6,999 منْ أصدقائِي المقرمشين!

المخلصةُ والممتنَّةُ لكم كثيرًا، عمَّةُ الهيميولن.»

بعدما انتهَى المُقرمشُ منَ القراءةِ خيَّمَ علينَا صمتٌ طويلٌ.

«هلْ تحبُّ مسابقات الضَّربَ؟» سألَهُ هودجكينز بحذرٍ.

«جدًّا!» أجابَ المُقرمشُ.

جلسْتُ ولمْ أدرِ ما يمكنُ أنْ أقولَ.

«افتحِ الهديَّةَ رجاءً!» صاحَ مدلر.

قضمَ المُقرمشُ الخيطَ بعزمٍ، وأخرجَ صورةً لعمَّةِ الهيميولن بحجمٍ كاملٍ تظهرُ مرتديةً زيَّ ملكةِ مُقرمشين.

«ما زالَ أنفُها كما هو!» صاحَ مدلر. «أنا في غايةِ السُّرورِ!»

«يا عزيزي، انظرْ إلى الإطارِ،» قالَتِ الزّغبية.

نظرَ الجميعُ إلى الإطارِ. كان مصنوعًا من ذهبٍ إسبانيٍّ خالصٍ مطعَّمٍ بورودٍ صغيرةٍ منَ الزَّبرجدِ والكريزوليت عندَ الزَّوايا. وحجارةُ ألماسٍ صغيرةٌ شكَّلَتِ الحافَّةَ الدَّاخليَّةَ حولَ الصُّورةِ. أمَّا ظهرُ الإطارِ فمصنوعٌ من أحجارِ الفيروزِ.

«أتظنُّ أنَّ انتزاعَها ممكنٌ؟» تساءَلَتِ الزّغبية.

«بالتَّأكيدِ!» ردَّ مدلر بابتهاجٍ عارمٍ. «ألمْ يهدِنا أحدٌ مثقابًا؟»

في تلكَ اللَّحظةِ سمعْنَا صوتًا فظيعًا عندَ الشَّاطئِ يزمجرُ: «ها! أنتم يا خِرقَ صحونِ الغروك! انتظرْتُ وانتظرْتُ حصولِي على شاي الصَّباحِ في الجزيرةِ، لكن ولا أي روحٍ بدَا أنَّها تتذكَّرُ العمَّ إدوارد!»

بعدَ مُضيِّ يومين على قراءةِ بابا مومين عن زفافِ مدلر كان جالسًا في الشُّرفةِ مع عائلتِه. كانَتْ ليلةً عاصفةً من ليالي شهرِ آب. وقد أعدَّتْ لهم ماما مومين شرابَ الرُّومِ السَّاخنِ وخبزَ الدّبسِ، وكلّهم متأنِّقونَ في ملبسِهم وذيولُهم ممشطةٌ جيِّدًا.

«حسنًا؟» بدأَتْ ماما مومين بنبرةِ توقُّعٍ.

«أنهيتُ المذكَّراتِ اليومَ،» أعلنَ بابا مومين بصوتٍ أجشٍّ. «في السَّاعةِ السَّادسةِ وخمسٍ وأربعينَ دقيقةً. والجملةُ الختاميَّةُ - هيَ - لا بأس، ستسمعونَ.»

«ألمْ تكتبْ أيَّ شيءٍ عن مغامرتِكَ الطَّائشةِ معَ الهاتيفاتنر؟» سألُهُ سنفكين.

«لا،» أجابَ بابا مومين. «أريدُ من هذا أنْ يكون كتابًا تثقيفيًّا.»

«بالضَّبط،» صاحَ سنيف.

«هس، هس،» أسكتَتْهم ماما مومين. «وماذا عنِّي؟ ألنْ أظهرَ في الصُّورةِ أبدًا؟» استفسرَتْ وهي تتورَّدُ حياءً.

شربَ بابا مومين ثلاثَ جرعاتٍ من قدحهِ وأجابَ:

«حتمًا ستظهرينَ. استمعْ جيِّدًا يا ولدِي مومين ترول، لأنَّ هذَا الجزءَ الأخيرَ يحكِي عن كيفَ وجدْتُ أمَّكَ.»

❁ ❁ ❁

أقبلَ الخريفُ.

بدأَتِ العواصفُ تطوِّقُ جزيرَتَنا المعزولةَ بالعواءِ، وغدا الجوُّ قارسُ البردِ. أصبحْنَا نقيمُ كلُّنا في بيتِي حيثُ فيهِ طبعًا موقدٌ خزفيٌ جيِّدٌ، وحيثُ نوينا

أنْ ننامَ خلالَ الشِّتاءِ.

الحدثُ الوحيدُ الَّذي أوشكُ أنْ أرويهِ أخذَ مجراهُ في مساءِ يومٍ مِا، عندمَا كانَ الجوُّ رهيبًا حقًّا.

صرَّ البيتُ وأنَّ، وانهمرَ المطرُ المتسارعُ يقرعُ سقفَ الشُّرفةِ مثلَ أقدامِ صغيرةٍ تجري، وفي بعضِ الأوقاتِ نفخَتْ عاصفةُ الجنوبِ الغربيِّ المزمجرةُ غيمةً ضبابيَّةً في المدخنةِ نزولًا إلى الغرفةِ حيثُ نحنُ متحلِّقونَ حولَ النَّارِ.

«هلَّا قرأتِ لنا ماما!» قالَ أطفالُ الميمبل من أَسِرَّتهم.

«حاضرٌ،» أجابَتِ الميمبل. «إلى أين وصلْنَا؟»

«المفتِّشُ - تويغز - زحفَ - بهدوءٍ - إلَى - البابِ!» ردَّدَ الأطفالُ بصوتٍ واحدٍ.

«حسنًا يا أطفالِي، زحفَ المفتِّشُ تويغز بهدوءٍ إلَى البابِ. كانَ لا يكادُ يبصرُ وميضَ المسدَّسِ في ضوءِ القمرِ، تقدَّمَ وهو ممتلئٌ عزمًا وتصميمًا على تحقيقِ انتقامِ العدالَةِ، تسمَّرَ في أرضِهِ فجأةً، و...»

استمعْتُ بذهنٍ شادرٍ إلى حكايةِ الميمبل. فقدْ سبقَ أنْ روَتْهَا عدَّةَ مرَّاتٍ.

«أحبُّ تلكَ القصَّةَ،» قالَ شبحُ الجزيرةِ المنهمكِ في تطريزِ نشَّافةِ أقلامٍ (عظامٌ متصالبةٌ علَى نسيجٍ أسودَ) وعيناهُ تراقبانِ السَّاعةَ.

جلسَ مدلر والزّغبية أقرب ما يكونان منَ النَّارِ بيدَين متشابكتَين كالمعتادِ.

ما كانَ يمكنُ أنْ يكونَ الجوُّ في الداخل ألطفَ من ذلِكَ. مع ذلِكَ أسَرَنِي شعورٌ غريبٌ ومربكٌ.

وبينَ الحينِ والآخرِ غسلَتْ رغوةُ عاصفةٍ من زبَدِ البحرِ زجاجَ النَّافذةِ المعتِمِ والمقعقِعِ.

«أنْ يقصدَ المرءُ البحرَ في ليلةٍ عاصفة مثلَ هذهِ...» قلْتُ.

«نعم، إنَّها زهاءُ مئةٍ وخمسينَ ياردةً في الثَّانيةِ،» وافقَ هودجكينز.

«سأخرجُ لاستنشاقِ الهواءِ،» غمغمْتُ وفتحْتُ أحدَ الأبوابِ المدابرةِ للريحِ.

وقفْتُ للحظةٍ أستمعُ عندَ العتبةِ.

كانَتِ اللَّيلةُ المظلمةُ مفعمةً بالصَّخبِ المهدِّدِ وهديرِ الأمواجِ. نخرْتُ في وجهِ الرِّيحِ، وأرجعْتُ أذنِي إلى الوراء، ومضَيْتُ إلى الجانبِ المواجهِ للريحِ.

اندفعَتِ العاصفَةُ نحوي بعواءٍ شيطانيٍّ فأغمضْتُ عينِي لأتجنَّبَ رؤيةَ الأشياءِ البغيضةِ المتحرِّكةِ بدأبٍ في مثلِ هذهِ اللَّيالِي. أشياءُ يُستحسَنُ تجاهلُهَا...

تعثَّرْتُ نزولًا إلى الشَّاطئِ الذي لا يكادُ يبين إلَّا منَ الحافَّةِ المتلألئة بالرَّغوةِ البيضاءِ. عندمَا ظهرَ القمرُ منْ بينِ السُّحبِ المتسارعَةِ جعلَ شعاعُه الرَّملَ الرَّطبَ يومضُ مثلَ قرصٍ معدنيٍّ. أقبلَتِ الأمواجُ المُسنَّنةُ تطوي الأرضَ بهديرٍ يصمُّ الآذانَ، وارتفعَتْ إلى مستوًى عالٍ بمخالبَ وأنيابٍ مكشوفةٍ، وبعد أن تحطَّمَتْ عشوائيًا على الأرضِ، زحفَتْ عائدةً ثانيةً إلى الظَّلامِ وهي تصوِّتُ وتزأرُ.

هيمنَتْ عليَّ ذكرياتِي!

ما السِّرُّ الَّذي جعلَنِي أتحدَّى الصَّقيعَ والظَّلامَ (اللذين يمقتُهما أيُّ مومين) وأكافحُ نزولًا نحوَ الشَّاطئِ في اللَّحظةِ عينِها الَّتي راحَ البحرُ يدفعُ خلالَها أمَّ مومين ترول إلى جزيرتِنا؟

جاءَتْ مندفعةً معَ الأمواجِ وهيَ متشبِّثةٌ بعارضةٍ، دُفعَتْ إلى الخليجِ ثمَّ دُفعَتْ إلى الوراءِ ثانيةً معَ انحسارِ الموجِ.

أسرعْتُ إلى الماءِ وصحْتُ بأعلَى صوتِي: «أنا هُنا!»

أعادَهَا الموجُ. كانَتْ قدْ فقدَتْ تمسُّكَها بالعارضةِ، وأخذَتْ تجاهدُ في العومِ بلا حولٍ ولا قوَّةٍ علَى ظهرِها وساقاهَا في الهواءِ.

لمْ يرفَّ لِي جفنٌ أمامَ سورِ الماءِ القاتمِ المستشيطِ غضبًا. انتشلْتُ الجميلةَ الغارقةَ وحملْتُها بينَ ذراعَيَّ، وفي اللَّحظةِ التَّاليةِ دحرَتْنِي الأمواجُ المهتاجةُ.

بعزمٍ مومِيني جبارٍ جاهدْتُ لأعثرَ على موطئِ قدمٍ - ونجحْتُ في الزَّحفِ إلى اليابسَةِ بينما سعَتِ الأمواجُ إلى القبضِ على ذيلِي بنهمٍ - أخيرًا وضعْتُ حملِي

الحلو على الشَّاطئِ بمأمنٍ منَ البحرِ القاسِي والمتوحِّشِ!

أوه، هذا لمْ يشبِهْ في شيءٍ إنقاذَ عمَّةِ الهيميولن! هذهِ كانَتْ مومين، مومين مثلِي، ولكنْ أجمل منِّي بكثيرٍ، أنثَى مومين فتيَّةٌ نجحْتُ في إنقاذِهَا!

فجأةً انتصبَتْ وصاحَتْ:

«أنقِذْ حقيبةَ يدِي! أوه، أنقِذْ حقيبةَ يدِي!»

«لكنْ أنتِ تحملينَها!» قلْتُ

«أوه، يا إلهِي!» هتفَتْ. ثمَّ فتحَتْ حقيبةَ يدِها الكبيرةَ السَّوداءَ، وانهمكَتْ تفتِّشُ في محتوياتِهَا. في النِّهايةِ عثرَتْ على علبةِ مسحوقِ بودرةِ الوجهِ المضغوطَةِ.

«أخشَى أنَّها تضرَّرَتْ منَ البحرِ،» قالَت بصوتٍ حزينٍ.

«كلُّ شيءٍ فيكِ جميلٌ من دونِها،» أعلنْتُ بجسارةٍ.

عاينَتْنِي بنظرةٍ لا يُسبرُ غورُها، وتورَّدَتْ وجنتَاها بحمرةِ خجلٍ شديدةٍ.

❃ ❃ ❃

سأتوقَّفُ هنَا، عندَ هذَا المنعطفِ البديعِ في شبابي العاصِف، واسمحُوا لِي أنْ أختتمَ مذكَّراتِي معَ تلك اللَّحظةِ الَّتي دخلَتْ فيها أروعُ مومين حياتِي! منذُ ذلِكَ الحينِ راقبَت عيناها الوديعتانِ والمتعاطفتانِ حماقاتِي، وبالتَّالي تحوَّلَت

تلك الحماقاتُ إلى حكمةٍ وعقلانيَّةٍ مقابلَ خسارةِ مقدارٍ ضئيلٍ منَ المتعةِ والانفلاتِ اللتين كانتَا وراءَ دافعِي لتدوينِ مذكَّراتِي.

مضَى زمنٌ جدُّ طويلٌ منذُ أنْ أخذَتْ تلكَ الأحداثُ مجرَاها، والآن عندما سردْتُهَا من جديدٍ لنفسِي تولَّدَ لديَّ شعورٌ حتميٌّ بأنَّها يمكنُ أنْ تحدثَ مرَّةً أخرى، بأسلوبٍ جديدٍ مختلفٍ كلَّ الاختلافِ.

ها أنا أضعُ جانبًا قلمَ مذكَّراتِي مقتنعًا بأنَّ مئاتِ المغامراتِ الجديدةِ تنتظرُنِي، مغامراتٌ أعظمُ، مغامراتٌ فيها مزيدٌ منَ الدَّهشةِ.

أخيرًا أنا أودُّ من كلِّ مومين فتيٍّ أنْ يأخذَ مآثري بعينِ الاعتبارِ، شجاعتِي، إدراكِي السَّليم، فضائلِي، وحماقاتِي - حتَّى لو لمْ يصبحْ أكثرَ حكمةً منَ التَّجربةِ الَّتي يتحتَّمُ عليهِ خوضَها في أحدِ الأيَّامِ، بالطَّريقةِ المدهشَةِ الَّتي تُعتبرُ طبيعيَّةً بالنِّسبةِ إلَى جميعِ أفرادِ المومين الشُّبَّانِ والموهوبينَ.

هذهِ

نهايةُ المذكَّراتِ.

الخاتمة

وضعَ بابا مومين قلم المذكرات على طاولة الشّرفة ونظر بصمتٍ إلى عائلته.

«في صحتكَ!» قالت ماما مومين بعاطفةٍ جيّاشةٍ.

«في صحتكَ،» ردّد مومين ترول. «أنتَ الآن مشهور!»

«إيه؟» قال بابا مومين وتململَ في كرسيه.

«عندما يُطبع هذا الكتاب مؤكّدٌ أنك ستصبح مشهورًا،» أردف مومين ترول.

هزهزَ المؤلفُ أذنيه وابتسم.

«ربّما!» قال.

بيْد أنّ سنيف صاح: «ثمّ ماذا – ماذا حدث بعد ذلك؟»

«أوه – بعد ذلك،» قال بابا مومين وقام بحركةِ يد شاملةٍ وغامضةٍ عنَت البيتَ والعائلةَ والحديقةَ ووادي المومين، وعمومًا كلّ شيءٍ يتبع بعد انقضاءِ شبابِ المرء.

«يا أطفالي الأحباب،» خاطبتهم ماما مومين بحياء. «بعد ذلك بدأ كلُّ شيء.»

فجأة رجّت النّوافذَ هبّةُ ريحٍ مباغِتة.

«أن يركب المرء البحر في ليلةٍ كهذه...» قال بابا مومين بذهنٍ شاردٍ.

«وماذا عن أبي؟» سأله سنفكين. «الجوكستر؟ ماذا حلّ به؟ وماذا حلّ بأمّي؟»

«نعم، والمدلر أيضًا؟» استفسر سنيف. «هل أضعتَ الأبَ الوحيد الذي حصلتُ عليه في يومٍ؟ بغضّ النّظرِ عن مجموعة أزراره، وكذلك الزّغبية؟»

تأنّى بابا مومين في الرّد.

وفي تلك اللّحظةِ بالضّبط، اللّحظةِ الفريدة من نوعها بما يكفي، اللّحظةِ الضّروريةِ لهذه الحكاية – سُمع خبط على الباب.

ثلاث خبطاتٍ قويةٌ وقصيرةٌ.

اختطف بابا مومين بندقيته من على الحائط وصرخ: «مَن هناك؟»

أجاب صوت عميق: «افتح الباب يا مومين! الليلةُ باردةٌ!»

أفلتَ بابا مومين البندقية وفتح الباب على مصراعيه. «هودجكينز!» صاح.

نعم، إلى الدّاخل ولج هودجكينز، نفضَ عن نفسه ماء المطر وقال: «استغرقَ العثورُ عليك وقتًا. هللو. أنتَ لم تكبر ولا يومًا واحدًا.»

«ولا أنتَ أيضًا،» صاح بابا مومين. «أوه، أيُّ بهجة هذه! أوه، كم أنا سعيد!»

ثم سُمع صوت منخفضٌ وأجوف يقول: «في ليلة مصيرٍ كهذه، العِظام المنسيةُ تقعقعُ أكثر من أي وقت مضى على الشّاطئ المهجور!» ثم تسلّق شبحُ الجزيرة خارج حقيبة ظهر هودجكينز وعلى محيّاه ترتسم ابتسامةٌ ودودةٌ.

«سررتُ بلقائكَ،» قالت ماما مومين لهودجكينز. «أتودّ قدحًا من شراب الرّوم القوي؟»

«شكرًا،» أجاب هودجكينز. «واحد لي، وبضعة أقداح أخرى للآخرين في الخارج.»

«أأحضرتَ معكَ أحدًا؟» سأله بابا مومين.

«نعم، بعض الأهالي،» ردّ هودجكينز.

«أهالي مَن؟» زعق سنيف وسنفكين.

«أهاليكما طبعًا،» قال هودجكينز. «هم يشعرون بشيءٍ من الحياءِ. لم يرغبوا في الدّخول معي.»

اختفى سنيف عبر باب الشّرفة وهو يعوي، ثم عاد يقطر وراءه مدلر المبلل بالماء والمحرج والمتمسّك بقوةٍ بيد الزّغبية.

وراءهم أقبل الجوكستر وهو يمشي الهوينى وفي فمه غليون لم يشعله، وبعده تقدّمت الميمبل وبنت الميمبل وثلاثة وأربعون طفلًا من أطفال الميمبل. اكتظّت الشّرفة بالقادمين إلى درجة الانفجار.

كانت ليلةً تستعصي على الوصف.

لم يسبق في يومٍ قطّ أن حُمِّلت أي شرفةٍ في وقتٍ واحدٍ بذلك الكمّ الكبير من الأسئلة، والتعجّب، والعناق، والتفسيرات، وشراب الروم القوي. وأخيرًا عندما بدأ مدلر يفرغ حقيبته ويخرجُ مجموعة أزراره، ويعطيها لابنه فورًا، بلغ الاحتفال ذروته. فبادرت الميمبل إلى جمع أطفالها ثم وضعتهم في الخزانات ليناموا.

«سكوت!» صاح هودجكينز ورفع قدحه. «غدًا...»

«غدًا،» كرّر بابا مومين بعينين لامعتين.

«غدًا تبدأ المغامرات من جديد،» تابع هودجكينز. «لأنني أدعوكم كلّكم إلى السّفر فترة من الوقتِ. كلّنا مجتمعون هنا. الأمهات والآباء والأطفال. نسافر على متن أوكسترا المحط سابقًا، وأعظم برمائية في العالم حاليًا! أتأتون؟»

«ليس غدًا، بل اللّيلة!» صاح مومين ترول.

وهكذا، خرج الجميعُ في الفجر الضّبابي يتلمّسون طريقهم في الحديقة. كانت السّماء الشّرقية ورديةً بلون بتلات الورد، وحاملةً الوعدَ بيوم صافٍ ولطيف من أيّام شهر آب.

بابٌ جديدٌ يؤدي إلى اللامعقول، يؤدي إلى المحتملِ، ويومٌ جديدٌ يمكن أن يجلبَ للمرء أيَّ شيء إذا لم يكن لديه اعتراض عليه.